الباب الرابع

موقف الإسلام من التعددية الدينية و تعاليمه الأساسية لمعاملة غير المسلمين

الفصل الأول: القراءات للتعدّدية الدينية من ناحية تعاليم الإسلام

بعد الاطلاع على التفسيرالوارد أعلاه حول معنى التعددية الدينية من ناحية التاريخ والمبادئ والأهداف وغيرها، يجد الباحث أنها تؤثر على تغيير معاني المصطلحات الإسلامية وتعاليم الإسلام كمصطلح الإسلام والإيمان والكفر والسعادة وصوابية العقاب والحقانية وأدوار الدعوة وممارساتها.

1. من ناحية تعريف التعددية الدينية وموقفه من التعايش السلمى على طريق التسامح.

لفظة التعددية تعني الكثرة أوالتعدد، وتستعمل بمعان مختلفة في الفلسفة والدين وفلسفة الأخلاق والحقوق والسياسة. والحد المشترك بينها كلها هو إنها تقف في قبال الوحدة. وفي فلسفة الأخلاق أيضا هناك من رأوا أن أساس الحسن والقبيح الأخلاقي ومعيارهما شيء واحد، وآخرون قالوا بالتعددية والتنوع فيهما، أي أنهم قالوا بالتعددية الأخلاقية. وهناك القائلون بالنسبية الأخلاقية وأن القيم لا يمكن أن ترجع بعض إلى بعض ولا هي استدلالية.[511]

التعددية السياسية تعني نشر القدرة العامة بين جماعات متعددة ومتنوعة لكي تكون مكملة بعضها لبعض، وتكتفي الحكومة بإقامة التوازن الطبيعي فيما بينها، ولأن يكون

---

[511] الدكتور لگنهاوزن، *كتاب النقد*، 4. ص. 14

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الحكم المطلق بيد الحكومة ولا بيد فرد ولا مؤسسة، معتبرين ذلك واحدا من الاصول الأساسية للديمقراطية الليبرالية. هذا هو-على ما يقول ماكس ويبر العالم بالاجتماع الألماني - المثال المطلوب للمجتمع التعددي ولعله لم يتحقق لحد الآن. التعددية، بلغة علم الاجتماع، هي المجتمع الذي يتألف من عناصر مختلفة، أومن جماعات ذات اتجاهات سياسية ودينية مختلفة.[512]

أن ما هوموضوع بحثنا الآن هوالتعددية الدينية، بمعنى أن الحقيقة والخلاص ليسا منحصرين بدين معين، فكلها تتمتع بجانب من الحقيقة المطلقة والعناية القصوى، فتكون النتيجة أن أتباع أي منهاج منها يمكن أن يكون وسيلة لنجاة الإنسان وخلاصه، وبذلك يشد الخصام بين الحق والباطل بين الديانات رحاله ويغادر،وتصبح المنازعات والمجادلات والمخاصمات الدينية لا مسوغ لها ومرفوضة، هذا عند نظر جون هيك.[513] وقال لغنهاوزن[514]: "أما التعددية الدينية، فقد شاعت في العالم المسيحي خلال العقود الأخيرة بفضل جهود جون هيك، فالتعددية هذه هي لون من الفهم في اللاهوت المسيحي، وليس في وسعنا استيعابها بشكل صحيح إلا حين نتعرف على اللاهوت

---

[512] The existence in one society of a number of groups that belong to differentraces or have different political or religious beliefs. Oxford Dictionary

[513] علي رباني الگلپايگاني، *تعدد الأديان و طريق حله، عن مجلة* «كيهان انديشه» الفارسية، www.hawzah.net/Per/Magazine /AH/006/ah 00610.asp

[514] محمد لغنهاوزن عالم أمريكي اعتنق الإسلام عام 1984م، وهو يقيم في إيران منذ بضعة أعوام ويتولى تدريس الفلسفة الغربية إلى جانب دراسته للفلسفة الإسلامية والفروع الإسلامية الأخرى. له دراسات متعددة نشرت في مجلة (معرفت) و(نقد ونظر) الفارسيتين و(التوحيد) الصادرة باللغة الانجليزية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المسيحي وطبيعة الخلاف بين المذاهب المسيحية".[515] ولم نشاهد قبل عام 1950م أي إشارة لهذه القضية في صحف بلادنا، ممّا يؤكّد أن التعددية فكرة غربية بشكل كامل، ثمّ تسللت إلى الفكر الشرقي. كما أنّ تعدد التفاسير وكثرة القراءات أبعد القضية عن الأصالة الإسلامية، وإلاّ لو كانت ذات جذر إسلامي لتناولها المسلمون خلال 14 قرناً ولكانت أكثر وضوحاً.[516] فبذلك قال أحد مؤيديها (عبد المقصد غزالى) فى رسالته الدكتوراة"Argumen Pluralisme Agama" إن دراسة التعددية الدينية لم يترسخ فى عقلاء المسلمين[517] ولا من لا يتفق بفكره من علماء مقارنة الديانات مثل الشهرستانى كحصري وآمين سُمّي كممن قام بنتائج عكسية لفكرة التعددية الدينية.[518] إنّ أوّل من أثار التعددية الدينية في إندونيسيا على سبيل الفكر الإسلامى هو الدكتور نورخالص مجيد في الثمانينات من السنة الميلادية. واستدل بالآية 62 من سورة البقرة على نجاة جميع أتباع الأديان السماوية، وكانت الآية أهمّ دليل لديه.

كان تفسير جون هيك السائد للتعددية، وهو يولي اهتمامه إلى قضيتي الحق والخلاص الدينيين، كما سبق القول. ترى التعددية الدينية أن الحق أمر مشترك بين جميع الديانات،

---

[515] محمد لغنهاوزن، *التعددية الدينية بين الإسلام والليبرالية، حوار في البنى والمنطلقات*، في *science-islam.net/articlephp3?id_article=791&lang=ar* - انظر كذالك ياسين بن على1427هـ \2006 م، *مفهوم التسامح بين الإسلام و الغرب*، دار الدعوة الإسلامية، مجلة الزيتونة www.azeytouna.net الطبعة الأولى، ص. 10

[516] المرجع السابق، جعفر السبحاني، *التعدّدية الدينية نقد وتحليل*. ص. 293

[517] Abdul Muqsith Ghazali, *Argumen Pluralisme Agama*, p.18

[518] *نفس المرجع* ، ص. 19 و 23

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والديانات كلها قادرة على أن تكون سببا لكمال أتباعها وتعاليهم وخلاصهم إلا أن هناك تفسيرا آخر يعنى ببعد الدين الاجتماعي والحياة الدينية. أي أن أتباع مختلف الديانات يمكن أن يعيشوا في مجتمع واحد بسلام، وأن يحترموا حقوق الآخرين . هذا هو التفسير الثاني المذكور في قاموس اكسفورد للتعددية .[519] و مؤيدوا تفسير جون هيك للتعددية يرون أن التفسير الأخير لا يدخل ضمن مدلول Pluralism، بل يرونه أقرب إلى التسامح (Tolerance)، ليست المسألة العثور على طريقة يلتئم فيها جمع أتباع مختلف الديانات الموجودة بشكل ما. عندهم أن بحث حل عملي لخلق حياة مشتركة مسالمة، فهنالك مبدأ آخر يمكن استخدامه، وهو التسامح، وهو يختلف عن التعددية . في التسامح يحترم المرء حرية الآخرين وحدودهم، حتى إن اعتقدنا أن كل الحقيقة موجودة عنده، ولكن التعددية الدينية هي أن الإنسان المتدين يريد أن يكون رهين (الأمر المطلق)، وأن يعتقد بأن ذلك القدر من الحقيقة الذي يحسب أنه يملكه ليس كل الحقيقة النهائية، بل هوستار ومظهرله، ويمكن أن يملك الآخرون ستارا ومظهرا من الحقيقة أيضا .[520]

2. القراءة نحو حقانية جميع الديانات وصحتها

التعددية الدينية بحسب تفسير أ.د. زينون كمال أ.د. كوثر أوهري نور ونفريانتو قهارالدين ومؤيدوها غيرهم لا هي قابلة للدفاع عنها من الناحية النظرية، ولا هي تملك

---

[519] The principle that these groups can live together in peace in one society

[520] علي رباني الگلپايگاني , *تعدد الأديان و طريق حله* . وقد ترجم إلى اللغة الأندونيسية بمحمد موسى 2005 تحت الموضوع *Menggugat Pluralisme agama, kebenaran itu banyak*? ,Al-Huda, Jakarta, P. 16

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

حلا عمليا قابلا للتطبيق. إن المساعي الجادة المبذولة لتسويغها وما ذكر لها من الأسس الفلسفية والعرفانية والمعرفية والكلامية، ليس فيها ما يمكن قبوله، وذلك أن تعدد الديانات وتنوعها يتعلق بالمعرفة والشهود والتصور والتصديق مما يتحقق بتلك الحقيقة الغائية. هنا يبرز التعدد والتكثر، ويتدخل موضوع الصدق والكذب والحق والباطل، وهذا يصح عندما يكون موضوع البحث واتجاهه شيئا واحدا، مثلا، هذا يعتقد بوحدانية الله وببساطة ذاته وصفاته. وذاك يعتقد بتعدد الإله أوبتركيب ذاته وصفاته، وثالث يعتقد بالتثليث، وآخر يرى تجسيد الله ركنا من أركان الإيمان، وغيره يرى ذلك دليل الشرك والكفر. هناك من يعتقد بوحدة ذات الله الشخصية، وغيره لا يؤمن بإله متكبر، ويعتبر الحقيقة الغائية غير متكبرة، وحالة في العالم، فكيف يمكن القول بصحة هذه المعارف والعقائد المتضادة المتناقضة معا؟ إن القول بأن أصحاب هذه العقائد هم من ذوي النيات الحسنة وأنهم يبحثون عن شيء واحد وهوالحقيقة الغائية والكمال المطلق، لا يحل مشكلة الحق والباطل، والصدق والكذب في مرحلة المعرفة والاعتقاد. نعم، ربما يكون شخص ما معذورا في ارتكابه خطأ وباطلا في بعض الحالات والظروف الخاصة، إلا أن هذه الاعذار لا تلبس الخطأ لباس الصواب ولا تسبغ على الباطل رداء الحق. لهذا فإن الأنبياء الإلهيين ودعاة التوحيد وصفوا المشركين وعبدة الأصنام بأنهم على باطل وضلال، فحاجوهم وحاوروهم، وبلغ بهم الأمر أحيانا إلى الحرب والاقتتال. إبراهيم الخليل عليه السلام حذر أباه، آزر، من عبادة الأصنام، ويقول مؤكدا أنه وقومه في

ضلال مكتوب فى القرآن سورة الأنبياء 21 الآية 52 - 54 و سورة الأنعام، 6 الآية 74يقول لعبدة الشمس أنه بريء مما أشرك قومه كما قال تعالى فى سورة الأنعام، 6 الآية 78 وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:"حق وباطل ولكل أهل".[521] يصف القرآن الكريم عقيدة التجسيد والتثليث بالبطلان والغلو في الدين فى سورة النساء، 4 الآية 171.

بالنظر إلى أمثال هذا التعارض وعدم الانسجام العقائدي فيما بين الديانات–حيث فيها الاختلافات والتعارضات الكثيرة في الآداب والمناسك والعبادات والسنن الخاصة بأسلوب الحياة العملية–كيف يمكن اعتبارها جميعا حقا، والقول بأن الإيمان بها والعمل بها جميعا، بدون استثناء من أسباب سعادة البشر وخلاصهم؟. وأما بعض مؤيدي هذه النظرية (التعددية الدينية) بإندونيسيا استدلوا لحقانية الديانات (خصوصا للأديان الكبيرة: اليهودية، المسيحسة، والإسلام) بعوامل أربعة التى احتجوابها لتأكيد نظريته،[522] أُولَيها: اعتراف القرآن بالكتب المقدسة التى أنزلت قبل الإسلام، مثل التوراة والإنجيل وغيرهما، كهدى ونور، كما بين الله فى سورة لمائدة 5 الآية 44 و46 و 47 و66.

ثانيها: الاعتراف بالأنبياء السابقين الذين جاءوا بالكتب المقدسة التى محاة إليهم أوما جاءوا بها كشعيب عليه السلام الذى لا كتاب له. وواجب على المسلمين أن يؤمنوا بأقلهم 25 نبيا ورسولا، من حيث عددهم 124 نبيا 315 رسولا.

---

[521] على بن أبي طالب، 1410هـ\1990م، نهج البلاغة، بيروت: مؤسسة المعارف، الخطبة 16

[522] Abdul Muqsith Ghazali, *Argumen Pluralisme Agama*, p. 241 - 249

وثالثها: يعتقدون أن القرآن أكد هؤلاء الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فالله لا يضيع أعمالهم ولهم أجرهم لإيمانهم و أعمالهم الصالحة بدليل من سورة البقرة 2 الآية 62 وسورة المائدة 5 الآية 69.

والرابع: أجاز القرآن معاملة المسلمين غيرهم من معتنقى الديانات طالما لايعتدونهم أويقاتلوهم أويخرجونهم من ديارهم، واستدلوا بقوله تعالى فى سورة الممتحنة الآية 7- 9.

وهم يأتون بهذه العوامل الأربعة كأنها حجة قوية وبرهان صريح على تقوية الاعتراف بنجاة غير المسلمين وسلامتهم فى الآخرة ما داموا قائمين بتعاليم أديانهم.[523] بل لم يكتف بذلك أن بعضهم يرى النسبيات الثلاثة التي لابد من أن تكون أساسا للمعالات بين الديانات: تلك النسبيات هى النسبية الثقافية والنسبية العرفية والنسبية الدينية.[524] النسبية الثقافية ترى الإسلام (كدين) هوتجربة ونظام نفسي الذي يفترق من دين آخر ويرجى من هذا السياق هو دين ملائم لثقافته الذى كان جلاءه يُظهر ويُعدّ لأمة غير متدينيه بغير قهر.[525] والنسبية العرفية هى النظرية التى على المتدينين اعتناقها، أن الحقانية المطلقة لا يمكن ادراكها. ولعدم إمكان إدراكها فلا بأس أن يعترف المسلم بالحقانية

---

[523] Abdul Muqsith Ghazali, *Argumen Pluralisme Agama*, p. 251

[524] M. Khairul Muqtafa, Rekonsiliasi cultural Islam dan Budaya Lokal in *Nilai-nilai Pluralisme dalam Islam bingkai gagasan yang berserak*, p. 58.

محمد خير المقفى، *المصالحة الثقافية الإسلامية والثقافة المحلية فى قيم التعددية فى الإسلام: إطار الأفكار المنتشر*. ص. 58

[525] نفس المرجع

فى دينه بشرط لا يقهر دينا آخر.[526] والنسبية اللاهوتية، قال خير المكتفى: الإسلام هو سبيل من سبل الحق الذى لا يلزمه للوصول إليه بطريق الدين المعين بل يمكن بطرق أخرى. فبذلك يتساوي الإسلام بعملية الثقافة إلا أنهما يفترقان فى طقوسهما، وكلاهما يريدان الوصول إلى الحق الأعلى.[527]

تساءل الباحث هل إن بحث القراءات المختلفة للدين يهتم بالديانات كما نزلت أو بالديانات كما هي الآن؟ وهل تتمثل مهمة البحث، في الإسلام والمسيحية واليهودية، في تناول هذه الديانات كما جاء بها الأنبياء أوكما هي اليوم؟ وهذا بحث مهم، حيث يجب أن نصغي إلى استدلالات الطرفين ومنطلقاتهم ومبانيهم. في هذا البحث، والتي يتوجب الالتفات إليها، هي أنّ الديانات الإلهية تدرجية في الزمان، ففي كل حقبة زمنية يرسل نبي لتبليغ دين الله. إذن فإن مسألة الزمان مهمة لاحتمال نسخ الشريعة حتى لو جاء بها نبي، أونسخ جزء من أحكامها، فحتى شريعة المسيح الحقة نسختها أديان أخرى، ومن خلال مجيء أنبياء آخرين. إذن مسألة الزمان يجب أن تحظى بالاهتمام. بعد القراءة البسيطة نحو حقانية جميع الديانات وصحتها لاتدل على مفروض قبول نظرية التعددية الدينية التي جاء بها مؤيدوها فى إندونيسيا.

---

[526] عند الباحث أن هذه النظرية أخذت من نظر جون هيك الذى يتأثر من فلسفة كنط. "إنه لا يمكن معرفة الحقيقة الواقعية، لأن الشيء فى ذاته الذى لا يمكن معرته هو هذه الحقيقة، أما الشيء الذى نعرفه فهو مجرد ظاهر. انظر وجيه قانصو *"التعددية الدينية فى فلسفة جون هيك"* ص. 88

[527] M. Khairul Muqtafa, *Rekonsiliasi Cultural Islam dan Budaya Lokal* , p. 59

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

3. النظر إلى الكتب المقدسة

اعتراف القرآن بالكتب المقدسة التى أنزلت قبل الإسلام، مثل التوراة والإنجيل وغيرهما، كهدى و نور. كما بين الله فى سورة المائدة 5 الآية 44. أجل، أن من شريطة الإيمان لدي المسلمين أن يؤمنوا بالكتب السماوية التى سبقت القرآن كالتوراة والإنجيل والزبور. ولكن لا يؤمنها من عند الله ولا يدلّ على وجوب اتباعها بعد الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ. صح ما قال عبد المقصد عن اعتراف القرآن الكتب المقدسة كما قال الله تعالى فى سورة آل عمران 3 الآية 1- 4 . ولكن ما لابد أن نعرفه هوإن الله تعالى لم يعطى العلم للبشر دفعة واحدة، فهو لم يُنزّل التوراة والإنجيل والقرآن مند آدم فى العهود الأولى بعد خلق الله للبشر- ولكن -كما لو كنا نعلم إنسانا بصرف النظر عن سنوات عمره فلابد أن نبدأ معه بالبدائيات، ثم نطور معرفته وعلمه فنعلمه كيف يركب الكلمات فى جمل وعبارات ويحوّل الأرقام إلى عمليات حسابية وما إلى غير ذلك. وإلى القارئ التحقيق الآتى: لقد أنزل الله ﷻ تعليماته لآدم شفهية ثم بدأت التعاليم مثل الوصايا العشر فى عصر إدريس وإبراهيم (عليهماالسلام) ولم يكن الإنسان حينذاك يعرف الكتابة، ثم الزابور أوالمزامير بلغتهم لداوود ﷺ، والتوراة من قبله فى عهد الكتابة المسمارية أو الحجرية وهى الكتابة بالنقش على الحجارة أو ما شابه ذلك. ولم يكن علم التدوين فى ذلك الوقت كاف للحفظ حتى عهد موسى ﷺ أيضا.[528] وكذلك فى عهد

[528] محمد أبو الوفا،2000م \ 1420هـ، *حوار مع أهل الكتاب*، داو النفائس، الجزء الأول. ص. 35

المسيح عيسى بن مريم ﷺ إذ كتب أول إنجيل عن مقولاته الشفهية لتلامذته، فكتب مرقص إنجيله عن مقولاته الشفهية لتلامذته، وأول ما كتب بعد رفع المسيح للسماء بسبعين عاما تقريبا، فمن الذى حفظه تلك المدة؟ و لم يكتب المسيح الإنجيل أثناء حياته، أو أجاز لأحد كتابته و ليس لديهم أي إثبات لذلك، إنما الذي كتب هم الكتاب الذين دونوا قصة السيد المسيح. إن الله أنزل شريعته على أنبيائه آنذاك للموعظة ولكن الناس لم يحفظوها حق الحفظ..كما أن الكتب كلها نزلت لتكمل بعضها بعضا، فقال المسيح ﷺ: ما جئت لأنقض الشريعة وكلام الأنبياء ..ما جئت لأنقض بل لأكمل.[529] وقال رسول الله ﷺ: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.[530] والتمام..هو نهاية كمال الشيء.

أما عن التحريف[531] فلنذكر إيجازا مثلا من المزامير عن داود ﷺ إذ يقول النص: "إن هؤلاء البشر يحرفون كلامى بالشر كل يوم"[532]وقول عيسى ﷺ:"إنما بعثت إلى خراف بنى إسرائيل الضالة" أي أن هناك أناسا قد ضلوا وانحرفوا عن شريعة موسى ﷺ فجاء هو ليصحح ما انحرفوا عنه، ومن سفر آخر يقول المسيح مخاطبا قومه من بني اسرائيل: يا مراؤون حسنا تنبأ عنكم اشعيا، قائلا: "يقترب إلى هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه و

---

[529] *انجيل* متى 5 : 17

[530] أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، 1344 هـ، *السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ــ سنن البيهقى* –، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة الطبعة : الأولى. ج. 2 ، ص472، 39– باب بَيَانِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَمَعَالِيهَا الَّتِى مَنْ كَانَ مُتَخَلِّقًا بِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ الَّتِى هِىَ شَرْطٌ فِى قَبُولِ الشَّهَادَةِ عَلَى طَرِيقِ الإِخْتِصَارِ رقم 21301

[531] وعن وجودالتحريف فى التوراة والإنجيل لقد كتب عنه الأستاذ الدكتور محمد عمارة تحت الموضوع *"تقرير علمى"* ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

[532] *العهد القديم*، المزامير 56 : 5 -7

أما قلبه فمبتعد عنى بعيدا وباطلا بعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي أشبه بوصايا الناس"[533] إن المسيح عندما ذكر لبنى إسرائيل النص السابق ووبخهم على العبادة بالباطل، كان هذا لانحرافهم عن أتباع تعاليم الشريعة الحقة. وإن هناك شيئا قد اختلف والتبس عليهم الأمر فيه. وإلا فما ذكر المسيح لبنى إسرائيل هذا النص والذى قبله، ألم يكن ذلك من دلائل التحريف والانحراف عن الشريعة.

ولنأتى لعهد رسول الله ﷺ،وكيفية تدوين القرآن فى حينه، حيث إن القرآن كان يتزل فى عهد الكتاب والحفظة فى آن واحد، وكانت تسجل الآيات القرآنية. حسب تعليمات السماء أولا بأول حياة رسول الله ﷺ، فلا مجال هنا لنذكر اجتهادات ونتفحص فى الماضى. فالقرآن مقسم إلى سور وليس إصحاحات لكل كاتب أونبي سفر أوعدة أسفار مختلفة فى أزمانها، ثم هل نزلت التوراة على موسى أم على كل هؤلاء الكتبة والأنبياء من بنى إسرئيل ليكتب كل واحد منهم شيئا فينسبه لنفسه ويضمه إلى التوراة؟ أين توراة موسى؟ وهل يجمع كتاب خلاف ألف ومائة عام؟ فمن الذي حفظ النصوص ومن الذى دققها طيلة هذه المدة؟ ومن الذى يتذكر النص الحرفى خلال تلك المدة الطويلة؟

[533] *العهد الجديد*، انجيل مرقص، 7 : 7 – 8

وفى عهد الأناجيل ذكرنا أنه كتب أول إنجيل بعد المسيح بسبعين عاما، ونسبت الأناجيل لكتبتها و لم تنسب للمسيح، فنجد إنجيل متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا كل نسب إلى كاتبه. ولنأت إلى إنجيل لوقا، فماذا قال لوقا فى أول إصحاحاته فى إنجيله؟ قال: "1إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، 2كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، 3رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، 4لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ."[534] ثم بدا لوقا يتحدث ثاوفيلس هذا فقال: "5كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ..." وسود بعد ذلك قصته التى كان عنوانها إنجيل لوقا. وفى الناس السابق للوقا، نجد كلمة تأليف قصة واضحة أشد الوضوح، وكذلك جملة بعدما تفحصت كل شيء تفحصا دقيقا، فليس هناك وحي ولا إيحاء إلا من عنده هو شخصيا. وقد كتب لوقا من باب التفاخر بالمعرفة لأمر قصة المسيح وليكسب ود الزعماء المهتمين بهذا الأمر، هذا دال على أن كتب لوقا كما كتب يره.[535] ويقول الله ﷻ فى هذا الأمر:" فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ.[536] فواضح أن الكتاب قد كتبوا فى أسفارهم وإصحاحتهم من الروايات المسموعة أو المنقولة شفهيا وقصصيا

---

[534] *العهد الجديد*، انجيل لوقا، 1 : 1-5

[535] محمد أبو الوفا،2000م \ 1420هـ، *حوار مع أهل الكتاب*،

[536] *القرآن*، سورة البقرة 2 : 79

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

كما شهد على لوقا فى إنجيله ناقلا عن ناقل وسامعا عن سامع وليس نقلا عن موسى أوالمسيح شخصيا. وهناك أيضا أناجيل لم تدون فى الكتاب المقدس، كما كتب يوحنا إنجيلين أحدهما من جملة النسيان وبرنابا أيضا وغيرهم كثيرون من الكتاب لم ينظرإليهم.

وكذلك أسفار التوراة، نجد فيها سياق الحديث "قال موسى للرب أوقال الرب لموسى" هذا دليل على وجود ثالث يكتب أوشاهد علي الأحداث، السؤال فمن هو؟ فلو كان النص عن موسى لقال: "قال الله لى كذا أو قلت لله كذا أوتحدث عن نفسه بالمقولة أو قال الله مقولة مباشرة له أو لقومه ولكن لم يحدث هذا. ومثل هذا الواقع نجده فى الإنجيل كقول المسيح لتلاميذه (ثم يذكر النص) أو فقال له واحد: "يا سيد أقليل هم الذين يخلصون" وما أشبه ذلك. من هنا نعرف أن موسى لم يكتب التوراة أوعهد لأحد بكتابة الأسفار كافة أثناء حياته وكذلك عيسى بن مريم لم يكتب الإنجيل أوعهد لأحد بكتابته كماأوضحنا سابقا. فلقد نزلت التوراة والإنجيل أحاديث شفهية.[537] يقول الله ﷻ :ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى، كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ، فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ[538] وكذلك الآية 44 من سورة سبأ، ويدل على أن موسى لم يكتب شيئا بل وعظ حيث ذكر النص التوراتى عن ذلك: "ولكن هذه

---

[537] محمد أبو الوفا،2000م \ 1420هـ، حوار مع أهل الكتاب، ص. 36 -37

[538] *القرآن*، سورة المؤمنون 23 : 44

الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها".[539] وأما القرآن الكريم فإن القول فيه مباشرة من رب العالمين، نعرف ذلك من قوله: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِد."[540]وعلمنا النظرالسابق إلى الكتب المقدسة من الأديان السماوية، لاتدلنا اعتراف القرآن نحو إثبات نظرية التعددية الدينية فى الإسلام كما جاء به عبد المقصد.

4. النظر إلى إرسال الرسل والأنبياء

والحقيقة أن الأنبياء متحدون تماما في أمهات التعاليم. آيات القرآن تعلن ذلك صراحة، وهناك إشارات واضحة في القرآن الكريم كقوله على لسان النبي: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.[541] أي أنه يدعوهم إلى كلمة متفق عليها بين الطرفين، وهي عدم جعل إله آخر مع الله، أو قوله ﷻ: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ. [542] كما هو الحال في رأي العلامة الطباطبائي، حيث ذهب إلى أن الإسلام هنا لا يعني دينا خاصا، وإنما يعني التسليم لإرادة الله.

---

[539] *عهد القديم*، سر التثنية، 7 : 6-7

[540] *القرآن*، سورة الكهف 19 : 109

[541] *القرآن*، سورة آل عمران الآية 3 : 64.

[542] *القرآن*، سورة آل عمران الآية 3 : 19.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فحقيقة الدين، لدى الله ﷻ، هي الإسلام، ويعني أصل الخضوع والتسليم لله في المعرفة والعمل. وبالرغم من الاختلاف بين الديانات،كما وكيفما، فإنها جميعا مصداق التسليم لله، سواء في المعارف أم في السلوك. ومن الممكن أن يخالف بعضهم رأي العلامة الطباطبائي في هذا المضمار، ذلك أن الإسلام، في لغة القرآن، قد يعني معناه الاصطلاحي، ولهذا فهو بحث تحقيقي. والروايات تؤكد معناه الاصطلاحي، وأوردت أركانه أيضا. وفي القرآن من المحتمل أنه يعني معناه اللغوي، وهومفهوم التسليم، والآية الشريفة، وانطلاقا من المعنى اللغوي، تعني التسليم للحقانية. إذن، لوبحثنا في الديانات الحقيقية فسوف نرى أنه لا يوجد من ينكر اتحادها في الأصول الكبرى. لأنها جميعا تدعو إلى الإيمان بالتوحيد والمعاد. وما يلفت الانتباه هنا، أن بعض الآيات تصرح بأن السابق من الأنبياء يبشر بلاحقهم. فالدين المسيحي لم يكتف بالسيد المسيح وحسب، بل إنه بشر بنبي يأتي من بعده، فالبشارة هذه جزء من الدين المسيحي. وهكذا نرى وحدة بين الديانات. أما الاختلاف القائم بين الديانات فهو تارة اختلاف بالشدة والضعف، وأخرى بسبب الكمال والمعارف التي يتم القاؤها، حيث من الممكن أن تكون أكثر أهمية أوكمالا من هذا الدين أوذاك. وثالثة بسبب مسألة النسخ، حيث يجري إلغاء أحكام نتيجة عنصر التدرج الزمني. وكما أشار العلامة الطباطبائي، فإن التسليم، وهو الدين الحقيقي، يتجلى في مصداق واحد في كل مرحلة زمنية.[543]

---

[543]. السيد الطباطبائي، *تفسير الميزان* ، ج. 1 ، ص. 226. *www.holyquran.net/tafseer/almizan/index.html*

ففي زمان النبي ﷺ تمثل التسليم للحق في الإيمان برسالة النبي ﷺ والإذعان لها. فعدم الإيمان به يعني عدم التسليم للحق، وبالتالي عدم القبول بجوهر الديانات جميعها. والمسألة التي يتوجب التأمل فيها في هذا البحث هي: هل إننا نبحث الديانات الحقيقية؟ وقد اتضح لنا ذلك..أوالديانات كما هي الآن؟ أحيانا نشهد دعاوى متعارضة بين الديانات المعاصرة: المسيحية المعاصرة، مثلا، تنفي نبوة سيدنا محمد ﷺ وغالبا ما تقول بالتثليث أو بالأقانيم الثلاثة، وأن المسيح هو الرب أو ابن الرب.

وقد صرح القرآن الكريم بكفر هذه العقيدة. وفي ما يخص قضية صلب السيد المسيح عليه السلام فالقرآن ينفيها صراحة، ويعدها خطأ، ويقول: إنما شبه لهم (سورة النساء 4 الآية 57)، وهذا يعني وجود طائفة من العقائد في الديانات،كما هي اليوم، محرفة وسيكون الجمع بينها غيرمعقول. حتى لو لم نستند إلى القرآن، فإن مقولة التعددية الدينية في حقانية الإسلام والمسيحية واليهودية هي في حد ذاتها ليست معقولة، وذلك لأن اليهودية والمسيحية اليوم تنطويان على دعاوى متعارضة، فهل من الممكن أن تكون جميع الدعاوى المتعارضة هذه على حق؟ إننا نقول ببطلان التثليث، في الوقت الذي يؤمنون فيه بحقانية ذلك، لا يمكن الجمع القولين. والتعددية بهذا المعنى باطلة في حد ذاتها، إضافة إلى أن هذه المقولة منافية للمعارف القرآنية والروائية، وسيكون المتدين

المسلم في وضع يرفض فيه هذه التعددية الدينية.[544] الآيات القرآنية تنفي صراحة بعض التعاليم الموجودة في الديانات كما هي اليوم. إذن فالتعددية بمعنى الجمع بين الديانات في الحقانية وبلوغ السعادة ليست معقولة.

المسألة الأخرى التي تستدعي الانتباه والتي يستند إليها بعض دعاة التعددية هي وجوب التفكيك بين المقولات الثلاث: 1. مقولة السعادة، 2. مقولة صوابية العقاب، 3. مقولة الحقانية. إننا إذا اعتقدنا بحقانية الإسلام لا غير، فمن غير المعلوم أن نقول: إن جميع أتباع الديانات الأخرى هم في الجحيم، أوأنهم محرومون من أي نصيب من السعادة. يقول المرحوم الطباطبائي، في أحد مؤلفاته: إننا لا نستطيع الادعاء بأن غير المسلمين محرومون من السعادة، لأن السعادة تدور مدار الطاعة، فما أكثر المسيحيين الذين بحثوا وتلمسوا، ولكن الظروف الاجتماعية الخاصة حالت دون بلوغهم الهداية، ولكنهم عملوا بما حصلوا عليه من العلم. ومثل هذا الإنسان الباحث المتلمس أطاع الحق ولا يدخل الجحيم، إضافة إلى قبح العقاب قبل البيان، وهذه مسألة معروفة لدى علمائنا. وهذا الدليل ينسحب على المعارف والأحكام، فمن تفحص و لم يجد بيانا للحقيقة، فإن عقابه سيكون قبيحا، والله لا يفعل ذلك. فمجرد الانتساب إلى الديانات الأخرى لا يوجب القول: إن أتباعها معذبون ومعاقبون، فالمسألة هنا إذن هي مسألة الحقانية. فلعل

[544] الشيخ صادق لاريجاني، *في مفهوم التعددية الدينية*، دار الولاية للثقافة والإعلام http//:www.alwelayah.net 2007-10-20

من هم غير أهل الحق لا يكونون من أهل الجحيم أيضا، لأن ذلك يتوقف على عملهم. يمكننا أن ندعي، مع الأخذ بنظر الاعتبار الديانات كما هي عليه اليوم، بأن التعددية تفقد معناها، سواء من وجهة نظر عقلية أم نقلية، أما الديانات، كما جاء بها الأنبياء، فهي في جوهرها الأصيل متوحدة نسخ بعض تعاليمها، ولذا لابد من الأخذ بالدين الكامل، وهو الإسلام في زماننا هذا. نعم، إننا لو التفتنا إلى ما تقدم، فسيكون ما ذكرناه نوعا من الانحصارية بمعنى من المعاني، لأننا نقول: إن الدين الإسلامي هو الحق، لكننا لو دققنا نقول: من ناحية جوهرية، الأنبياء جميعا يدعون إلى حقيقة واحدة، وهي التسليم للحق، حيث مصداقه مختلف بلحاظ الزمان، والأنبياء كانوا يبشرون بمن يأتي بعدهم، والآية 157 من سورة الأعراف الكريمة تصرح بهذه الحقيقة.[545] فالقرآن يصرح بوجود اسم النبي ﷺ في التوراة والانجيل في أنهم لا يؤمنون بهذا الدين الحالي.

الاستدلال الآخر يقولون فيه: لدينا أديان مختلفة، وهذا تكثر موجود يتوجب تبيينه. والتبيين هو أن الأنبياء جميعا كانوا يتلقون أمرا واحدا، ولكن هذا الأمر النازل هو أمر خاص، يقوم ذهن النبي نفسه بتفسيره، والأنبياء مفسرون لذلك العنوان المبهم النازل عليهم. وعلى هذا، فإن نبي الإسلام الذي جاء بدين الإسلام إنما جاء بتفسير وتجربة ذاتيين، وكذا بالنسبة للمسيحية واليهودية. إنهم يريدون القول: إن الأمر المنزل من الله

[545] *المرجع السابق*، الشيخ صادق لاريجاني، *في مفهوم التعددية الدينية*، دار الولاية للثقافة والإعلام.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

على الأنبياء واحد، ولكن هذا الأمر الواحد، لم يفسر، إذ إن تفسيره يتم من خلال تجربة النبي، ويستشهدون بهذا المثال العجيب: إن النعيم في الجنة تفسيره أحيانا بالحور العين يعني العيون السود، ثم يقولون: ولكن هل الجمال ينحصر بالحور؟ ولكن لأن البيئة آنذاك تنظر إليه بوصفه مثالا للجمال، لهذا ذكر القرآن الحور العين، ولو كان في بيئة أخرى لقال: العيون الزرق. يعني أن ذهن النبي فسر ذاك الذي استلهمه.

مؤلف "الصرط المستقيمة"[546] يطرح هذه الفكرة،ويقول في موضع آخر: إن حجم القرآن الفعلي إنما يرتبط بمدة نزوله، وهي 23 سنة، ولو عاش النبي ﷺ أكثر لتضاعف حجم القرآن عدة مرات، وهذا يعني أنه تفسير النبي لذلك الأمر الواحد النازل عليه، ومن المحتمل أن يتعرض للزيادة أوالنقصان بمرور الزمن.[547] والحقيقة أن هذا المدعى يفتقر إلى أساس ديني، والقرآن يصرح قائلا: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى[548]

وإذا كانت المعارف القرآنية والانجيلية والتوراتية هي تجليات ذهنية للأنبياء، فما هو معنى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وماهو مصير: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا.[549] والقرآن يزخر بهذا التعبير عن الحق الذي هو هذا القرآن: وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ

---

[546] الصراط المستقيمة مؤلفها عبدالكريم سروش: صراطهاي مستقيم

[547] *المرجع السابق*، الشيخ صادق لاريجاني، في *مفهوم التعددية الدينية*، دار الولاية للثقافة والإعلام.

[548] *القرآن*، سورة النجم 53 : 3-4

[549] *القرآن*، سورة الإسراء 17 : 105

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ.[550] وإذاكان القرآن هوالتفسير والتجربة الذهنية للنبي ﷺ تكون عبارة (لتلقى القرآن) خاطئة، لأنه (القرآن) وليد ذهنية النبي ﷺ وليس (من لدن حكيم عليم). وإن لهذا الطرح نتائج يستفيد منها هؤلاء في عرض القرآن على العلم المعاصر، فإذا ظهر هناك تعارض بينهما، تكون الأصالة للعلم وليس للقرآن لأن الأخير تفسير النبي وتجربته الذهنية! لكنهم لا يجرأون على التصريح بذلك، بل يقولون: إننا نطرح الأفكار ونتكلم ونترك الاستنتاج للناس. إنهم بطريقة، أو أخرى، يريدون زعزعة حقانية القرآن وقداسته، وهما من ضرورات الدين. وعندما يتم لهم القضاء على القرآن، سندنا الوحيد، فلن يتبقى لنا حينئذ شيء، إنهم يريدون إطفاء هذا النور الذي يربطنا بالسماء، وعن طريق التلاعب بالألفاظ وتزويق الكلمات يحاولون انتزاعه منا.

هناك صيغة أخرى للتعددية تتمثل في قولهم، إن ما ينزل على الأنبياء ليس واحدا بل هو مختلف، وصور مختلفة لحقيقة واحدة في عالم الوجود.

والأنبياء، وفاقا لدرجاتهم، يحصلون على هذه الحقيقة، واختلاف التفاسير إنما يتم بسبب تعدد تجارب الأنبياء فحسب، لأن قابلياتهم في التلقي متفاوتة! وهذه مقولة صحيحة اجمالا والقرآن ذكر هذا الاختلاف في درجات الأنبياء. ولكن السؤال الذي يطرح هنا هو: ما علاقة هذا الموضوع بالتعددية الدينية في الديانات؟ إن هذا الموضوع يفيد أن ما

---

[550] *القرآن*، سورة النمل 27 : 6

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

جاء به الأنبياء هو تجل لحقيقة واحدة، فما جاء به المسيح ﷺ لا يتعارض مع ما جاء به نبينا الأكرم ﷺ وهذا صحيح، لكن ما علاقة ذلك بالتعددية الدينية؟ يجب ألا نخلط بين الديانات الحقيقية كما نزلت بالديانات كما هي اليوم، إذ إنها تعرضت للتخريف. هذا خلط في البحث لأن الموضوع يرتبط أساسا بالأنبياء أنفسهم لا بالديانات في شكلها الحالي.[551]

من الشرح السابق يمكن تخليصه أن بعثة الرسل والأنبياء بألسنة قومهم واختلاف زمنهم التي استخدمها مؤيدوا التعددية الدينية في إندونيسيا كدليل لنظريتها وتأكيدها لا يثبت قبولها نقلا أو عقلا في الإسلام.

5. النظر إلى جواز معاملة المسلمين غيرهم من معتنقي الديانات في القرآن الكريم

استدل عبد المقصد جواز معاملة المسلمين غيرهم من معتنقي الديانات في القرآن لنظرية التعددية الدينية نقلا من تفسير القرطبي عندما فسّر "وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى" أنه ثبت في التاريخ لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الأولى إلى الحبشة، حسب ما هومشهور في سيرة ابن إسحاق وغيره، خوفا من المشركين وفتنتهم. وكانوا ذوي عدد، وقابلهم النجاشي مالك الحبشة وأصحابه، هم عثمان ابن عفان

[551] *المرجع السابق*، الشيخ صادق لاريجاني، *في مفهوم التعددية الدينية*، دار الولاية للثقافة والإعلام

وامرأته، أبوحذيفة ابن عتبة، زبير ابن عوام، عبد الرحمن ابن عوف، جعفر ابن أبي طالب. ثم أكّد رأيه بالسيرة النبوية ألفها إبن هشام الجزء الأول و لم يتمّ نقله أوخبأه، والكلمة المنقولة هى"فلما مات النجاشي صلى النبي واستغفرله".[552]و لم يبين عن إسلامه، مع أنه عمد إلى كتابه فكتب فيه وهويشهد أن لا إله إلا الله، ومحمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم.[553] إذن لمن المعقول إذا صلى النبي واستغفرله ولأنه مات مؤمنا به.[554] استنبط عبد المقصد من هذه القصة أن الله ينجى غير المسلمين ما داموا على دينهم وعملوا الصلحات كما ثبت فى كتبهم.[555]

الإسلام دين التسامح والسلام حيث قال رسول الله ﷺ في التسامح"بعثت بالحنفية السمحة". وللتسامح قيمة كبرى في الإسلام فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية ومن مساواة في غير تفوق جنسي أوتمييز عنصري،وحث المسلمين دينهم الحنيف على الاعتقاد بجميع الديانات كما أشارت الآية 185 من سورة البقرة، والتسامح ليس هوالتنازل أوالتساهل أوالحياد اتجاه الغير، بل هوالاعتراف بوجود الآخر. إنه الاحترام

---

[552] انظر Muqshid Ghazali, *Argumen Pluralisme Agama*, p. 251.

[553] ابن هشام 1410هـ\1990م، *السيرة النبوية*، دار الكتاب العربي، بيروت، الكزء الأول ، الطبعة الثالثة، 366 -367

[554] *صحيح البخارى*، ج. 2، ص. 116 و ج. 7، ص. 191 و *صحيح مسلم*، ج. 2و ص.656 -657، وأبو داود، ج. 3، ص.335 *والترمذي*، ج. 2، ص. 243 كلهم فى الجنائز

[555] *المرجع السابق* Abdul Muqsith Ghazali, *Argumen Pluralisme Agama*, p. 251

المتبادل والاعتراف بالحقوق العالمية للشخص، وبالحريات الأساسية للآخرين وإنه وحده الكفيل بتحقيق العيش المشترك بين شعوب يطبعها التنوع والاختلاف، بحيث قالﷺ: "الدين هو المعاملة".و روي عن عبادة بن الصامت انه قال:"يا نبي الله أي العمل أفضل، قال:"الإيمان بالله والتصديق به والجهاد في سبيله"قال أريد أهون من ذلك يا رسول الله قال:"السماحة والصبر".وقول آخر ما روي ابن أبي شيبة والبخاري "أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة".والتسامح فى الإسلام هوالتقابل بالآخر. وأقر القرآن الكريم فكرة التسامح لقبول وجود الديانات الأخرى ليست إلا بمشيئة الله ﷻ، فالله ﷻ الذى شاء أن يكون هذا البشر على هذه الوتيرة، ومشيئة الله ﷻ لا تنفصل بحكمته سبحانه، لأن المشيئة هي مقتضى الحكمة الإلهية. وأوضح أن فكرة التسامح لا تعنى أن جميع الديانات متساوية فعلا؛ وذلك لاختلاف الديانات، فهناك أديان سماوية وهناك أديان وضعية، والسماوية مختلفة كل منها عن الآخر، ولكن تجتمع كل منها فى حق واجد وهوحق الوجود والتعايش معا.

الفصل الثانى: تعاليم الإسلام عن الإنسانية وضوابط العلاقة بين الأمم

قبل الكلام على معاملة غير المسلمين لابد من تحديد واضح لهذه الفئات وتعاريف محددة فاصلة جامعة، وفيما يلى مجموعة من التعريفات الأساسية: لكى نلقى بعضا من الضوء على من هم غير المسلمين. وأمثلة من النصوص القرآنية والسنة النبوية التى وردت بشأنهم.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1. الأمة غير المسلمين

1.1 أهل الكتاب :أهل الكتاب هو اسم يطلق في الإسلام على أصحاب الأديان السماوية التي يعترف بها الإسلام، وغالبا ما يشار به إلى أتباع اليهودية والمسيحية[556]، لكنه يشمل أيضا كل من تنزل عليهم كتاب سماوي بحسب معتقد المسلمين، وهم اليهود والمسيحيون والصابئة والحنيفية. ومن الكتب السماوية المذكورة في القرآن: التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى.

1.2 المشرك: اسم فاعل من من الشرك، فى لسان العرب لابن منظور: أشرك بالله: جعل شريكا له فى ملكه، ويفسره الشرعيون بأنه من عبد مع الله غيره ، ممن لا يدعى اتباع نبي ولا كتاب، هذا التعريف للحنفية، ويعرفه غيرهم بأنه من عبد غير الله من الأصنام والأوثان و الكواكب وما أشبه.[557] ويمكن التفريق بين التعريفين السابقين بأن التعريف الأول يكون المشرك لا يعبد الله وحده بل مع شريك. أما على التعريف الثانى فيكون المشرك لا يعبد الله أصلا، أو يعبده مع شريك. والأول أقرب للمعنى اللغوى من الثانى فكان أولى بالإعتبار من غيره، إذ معنى الإشراك أن يشرك مع الله إلها آخر فى العبادة.

1.3 والكافر، اسم فاعل من الكفر الذى هو فى اللغة الجحود والإنكار. وفى عرف المتكلمين صعب تعريفه وتشعبت الآراء فى تحديده، فاختلفوا فيه اختلافهم تعريف الإيمان. والشافعية يعرفونه بأنه المنكر لما علم مجيئ الرسولﷺ والذى استهر حتى عرفه

---

556. ، محمد رشيد رضا، 2007م، *تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار*، بيروت: دار الفكر، ط. 1،الجزء العاشر. ص. 298

557 بدران أبو العينين بدران، 1984، *العلاقة الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين*، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ، ص. 28

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الخواص والعوام. نجد الحنفية، لا يشترطون فى الإكفار سوى القطع بثبوت ذلك الأمر الذي تعلق به الإنكار، لا بلوغ العلم به حد الضرورة كسابقيهم. فإنكار وجود الصانع، وانكار نبوة محمدﷺ، وانكار حجية القرآن كفر على مذهبين، لثبوت الأمرلكل منها ثبوتا بلغ حد الضرورة. وعلى ذلك فعبدة الأوثان والأصنام، وأهل الكتاب، يكونون كفارا بالاتفاق. ويكون الكفر اسم جنس يندرج تحته صنفان. أ). أهل الكتاب الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسول ﷺ.ب). عبدة الأوثان الذين عبدوا غير الله واتخذوا أصنامهم وأوثانهم أوالكواكب آلهة من دون الله. وقد قسم بعض الباحثين الكفر إلى أنواع: 1). كفر انكار، وهو أن لا يعرف الله أصلا، ومثلوا له بكفر فرعون الذى حكى القرآن الكريم فى سورة القصص 28 الآية 38، 2). كفر جحود، وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه، ومثاله: كفر ابليس (لعنة الله)، 3). كفر عناد، وهوأن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه، ولا يدين به، ككفر أبي طالب عم النبي ﷺ. 4). كفر نفاق، وهو أن يقر بلسانه ولايعتقد صحة ذلك بقلبه، ككفر سائر المنافقين.[558]

1.4 أهل الفترة: من هم أهل الفترة الذين قصدهم الخالق عز وجل. حسب ما جاء في الفقه الاسلامي، فإن مصطلح أهل الفترة يدل على أولئك الناس الذين عاشوا مابين رسالتي المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ولم يتسنى لهم أن يتبعوا أحداً من

---

[558] المرجع السابق، بدران أبو العينين بدران، 1984، *العلاقة الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين*، ص. 29-30

الانبياء وتمت تسميتهم بأهل الفترة لأن الخالق عز وجل لم يطالبهم بتكليف شرعي، ذلك لأن الرسالات كانت غائبة عنهم. والاتصالات أنذاك بين البشر كادت تكون معدومة. ولكن هذا لايعني أنهم لم يكونوا مؤمنين بالفطرة بوجود الخالق عز وجل، ذلك أن الإيمان بالله هو فطرة في الإنسان منذ أن خلقه الله . (أنظر قول الله ﷻ في كتابه العزيز من سورة المائدة 5 الآية 19)، السؤال المطروح الآن، هل يوجد في عصرنا شعوباً أو مجموعات أو أفراداً ينطبق عليهم مصطلح أهل الفترة؟ الجواب نعم، هناك الكثير من القبائل التي تقطن غابات الامازون أو في اسيا أو في افريقيا بل فى غابات سومطرى (Sumatera) وبابوا (Papua) أندونيسيا ما يسمى بأبناء قوم داخل الغابة (anak Suku dalam) لايعرفون شيئاً عن الديانات عامة ولا عن الاسلام خاصة. فهؤلاء مع كل أسف هم من أهل الفترة التي نتحمل مسؤولية بلاغهم رسالة الاسلام، هم ليسوا مطالبين بتطبيق أحكامه، ولكننا نحن سنسأل من قبل الخالق لماذا قصرنا في إصال رسالته إليهم، ونحن أمة المليار ونصف.[559]

من أبرز الشبهات التى يشيرها أعداء الإسلام كلما نادى مناد بحتمية الحل الإسلامى، بوجوب العودة إلى نظام وأحكام الإسلام: أن البلاد أكثر سكانها المسلمون أقليات، لا تدين بالإسلام — ففى إندونسيا — مثلا توجد أقليات مسيحية كاثوليكية، بروتستانية،

[559] http://www.*ahl-alquran.com*/arabic/show_article.php?main_id=2210 ،*2007-07-27*

بوذية، هندوكسية، وكنفوسيونية، كما يوجد بعض اليهود فى بعض الأقطار مثل سورابايا منذ القرن الثامن عشر الميلادى.[560] فكيف يقبل هؤلاء الحل الإسلامى، وهو يستمد أحكامه من دين لا يؤمنون به، ولا يرضونه حكما فى شؤون حياتهم؟ وكيف يُرغم هؤلاء على أمر يخالف دينهم؟ وهذا ينافى مبدأ الحرية الذى قرره إعلان حقوق الإنسان نفسه منذ أربعة عشر قرنا حين قال: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...[561] وقال يوسف القرضاوي: هذه هى شبهة القوم حول الأقليات غير المسلمة فى المجتمع الإسلامى، وهى شبهة واهية، بل باطلة.[562]

2. الإنسان فى نظر الإسلام، يعتبر الإنسان في المفهوم الإسلامي أكرم الكائنات وأشرفها، ومن أجله سخر الله مافي السماوات وما في الأرض ومنحه نعمة العقل والتفكير والتدبر. فالكرامة الإنسانية تستند في الإسلام إلى نظرية متكاملة وأسباب تلك الكرامة ومضمونها واضحة في تسخير ما في السماوات والأرض لخدمة الإنسان. ومن آثار هذه الكرامة، أن حياة الفرد في قيمتها تكاد تتساوى مع حياة النوع البشري واستمراره، وهذا ما يقول الله تعالى فى سورة المائدة 5 الآية 32. ويرى الإسلام الإنسان رؤية الرحمة وينظرهم نظرة العطف وذلك لأن الدين الإسلامي آخرالديانات التي شرعها الله تعالى، وأمر الناس كافة

---

[560] http://www.matabumi.com/berita/*ternyata-di-surabaya-ada-tempat-ibadah-yahudi*, Thu, 08/01/2009 dan Abdul Qadir Shaleh, 2003, *"Agama" kekerasan*, Penerbit Prismasophie, p. 20

عبد القادر صالح، 2003، *الديانة العنفية*، د.م.: مكتبة بريسماصابي، د.ت، ص. 20

[561] *القرآن*، سورة البقرة 2 : 256

[562] يوسف القرضاوى، 1417هـ\1996م، *الأقليات الدينية...والحل الإسلامى*، مكتبة وهبة، القاهرة ، ط. 1. ص. 9

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بالدخول فيه، كما أنه تعالى أوحى بهذا الدين، وأنزله على قلب أرحم الخلق محمد ﷺ، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[563] وما يؤكد هذا المعنى نستطيع أن ندلل من القرآن وسيرة النبي ﷺ ويتجلى ذلك في صور كثيرة، منها : أ). الدعوة إلى الإسلام، وإنقاذ الناس من الشرك والكفر. وفي ذلك جاءت الأوامر في القرآن والسنَّة للمسلمين بدعوة الناس إلى توحيد الله وبذل الأموال والأوقات والأنفس في سبيل ذلك؛ وما ذلك إلا رحمة بالعالَمين لإنقاذهم من عبادة العبَاد إلى عبادة رب العبَاد، أوعبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ولإخراجهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. هذا ما قام به النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم و من تبعه إلى يوم الساعة. كما قال تعالى في كتابه العزيز في سورة يوسف 12 الآية 108 و سورة آل عمران 3 الآية 104. ب). برُّ الوالدين والإحسان إليهما وإن كانا كافرَين بل وإن كانا يجاهدان في سبيل ضد أولادهم عن الإسلام، وأمرهم بالشرك والكفر.وفي هذا يقول الله تعالى سورة لقمان 31 من الآية 14 إلى 15. ج). الوصية بالجيران ولوكانوا من غير المسلمين. ولعل لا يُرى دِينٌ، ولا منهجٌ، ولا قانونٌ، يدعو الناس إلى العناية بالجار، والاهتمام به، والوصية بحفظه، ورعاية حقه، وحرمته، مثل الإسلام، لقد بين الله تعالى سورة النساء 4 : 36. قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: "قال نوف الشامي: (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى) المسلم، (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) اليهودي، والنصراني. قلت: وعلى هذا فالوصية بالجار

---

[563] *القرآن*، سورة الأنبياء 21 : 107.

مأموربهامندوب إليهامسلماً كان أو كافراً وهو الصحيح، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة، وكف الأذى والمحاماة دونه، روى البخاري عن عائشة عن النبي ﷺ قال: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)، وروي عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن) قيل: يا رسول الله ومن؟ قال:(الذي لا يأمن جارُه بوائقَه)، وهذا عام في كل جار، وقد أكّد عليه السلام ترك إذايته بقسمه ثلاث مرات، وأنه لا يؤمن الإيمان الكامل من آذَى جارَه، فينبغي للمؤمن أن يحذر أذى جاره، وينتهي عما نهى الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضياه وحضَّا العباد عليه.[564] وقد حث الإسلام على الإحسان في معاملة الجار ولو غير مسلم، فقد عاد النبي ﷺ ابن جاره اليهودي، وذبح ابن عمر شاة، فجعل يقول لغلامه :أهديت لجارنا اليهودي، أهديت لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول اللّه ﷺ يقول فيمارواه البيهقي عن عائشة: مازال جبريل يوصيني بالجارحتى ظننت أنه سيورّثه وأخرج الشيخان أنه ﷺ قال: من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم جاره[565] د).العدل والإحسان في التعامل مع الكافر غير الحربي كما أمر الله تعالى في سورة الممتحنة 60 : 8 . قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله، أي: لا ينهاكم الله عن البرِّ، والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط، للمشركين، من أقاربكم، وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا

---

[564] أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،1427هـ / 2006م ،*الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة آي الفرقان* ،المحقق، عبد الله التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ص. (183/5 ، 184)،

[565] وهبة بن مصطفى الزحيلى 1428هـ\2003م ،*التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج*، بيروت دمشق: دار الفكر المعاصر، الجزء الثالث ، ص. 70-71

لقتالكم في الدِّين، والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تَصِلُوهم؛ فإن صلتهم في هذه الحالة: لا محذور فيها، ولا مفسدة .[566] هـــ). تحريم قتل المعاهَد من الكفار، والوعيد الشديد في ذلك.حدثنا قيس بن حفص: حدثنا عبدالواحد: حدثنا الحسن بن عمروحدثنا مجاهد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً. [567] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والمراد به: مَن له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية أوهدنة من سلطان، أوأمان من مسلم.[568] و). تحريم ظلم المعاهَد، وتكليفه فوق طاقته. حدثنا سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، حدثني أبو صخر المديني أن صفوان بن سليم أخبره، عن عدة من أبناء أصحاب رسول اللّه ﷺ، عن آبائهم دِنْيَةً عن رسول اللّه ﷺ قال: أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[569] قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: فمن قدم إلى بلادنا من الكفار لعملٍ، أو تجارة، ومُسمح له بذلك فهو: إما معاهَد، أو مستأمن: فلا يجوز الاعتداء عليه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (أن من قتل معاهَداً لم يرح رائحة

---

[566] تفسير القرآن الكريم – *تفسير السعدي من إصدارات*، موقع أم الكتاب، وموقع علوم القرآن الكريم info@omelketab.net تفسير سورة الممتحنة الآية 36" تفسير السعدي " (ص 856) .

[567] . *صحيح البخاري*، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، موقع أم الكتاب و موقع الدرر السنية، رقم الحديث 2995 و 6516

[568] أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله ،دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)، الجزء الثاني عشر ص. 259 .

[569] . *السنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني*، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، رقم الحديث 3052، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود " .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الجنة)، فنحن مسلمون، مستسلمون لأمر الله عز وجل، محترِمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد، والأمان، فمَن أخلَّ بذلك: فقد أساء للإسلام، وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة ومَن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق: فهذا هو الذي يُرجى خيرُه، وفلاحه. فتاوى الشيخ العثيمين ج. 25، ص. 493. ز). تحريم الاعتداء ووجوب العدل. وفي ذلك يقول تعالى: وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ، وقال تعالى: وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: فانظر ما في هذه الآيات من مكارم الأخلاق، والأمر بأن تُعامل مَن عَصى الله فيك: بأن تُطيعه فيه.[570] ح). التسوية بين البشر، تعني التسوية بينهم في حقوق الكيان الإنساني، الذي يتساوى فيه كل الناس.[571] أما التسوية الحسابية في الحقوق الفرعيةالتي تؤدي إلى المساواة بين غير المتماثلين، فإنها معنى يختلف عن التسويةفي الآدمية التي كرمها الله، والتي تستند إلى مبادئ ثابتة وأصل واضح. انظرسورة النساء 4:1، فالناس كلهم من نفس واحدة. ويبين الحديث

---

[570] محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، 1415هـ-1995م، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، الجزء الثالث. ص. 50

[571] تعد المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس والألوان واللغات، مبدأ أصيلا في الشرع الإسلامي، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره، قائما في الحضارات القديمة، كالحضارة المصرية أو الفارسية أو الرومانية؛ إذ كان سائدا تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكل منها ميزاتها وأفضليتها، أو على العكس من ذلك، تبعا لوضعها الاجتماعي المتدني. وكانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة، تستند إلى الجنس واللون، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والحرية والعبودية، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة، بل إن بعض المجتمعات، مثل المجتمع الهندي، كان يعرف طائفة المنبوذين، وكان محرما على أفراد الطبقة، أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، حتى ولو كانت ملكاتهم تتيح لهم ذلك. وفي العصر الحديث، رفعت الثورة الفرنسية سنة 1789 م، شعار المساواة. غير أن التجارب العملية، تعلم الإنسان أن المبادئ والشعارات وحدها لا تكفي، دون أن يكون هناك ما يحدد المضامين، ويفتح طريق التطبيق، ويفرض الجزاء عند المخالفة. وذلك ما نجده في التشريع الإسلامي في مبدأ المساواة بين الناس. فهي تسوية أصلية بحكم الشرع، ومضمونها محدد، وأساليب تطبيقها واضحة، والجزاء عند مخالفتها قائم، وهو جزاء دنيوي وأخروي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الشريف هذا الأصل في المساواة: إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين أقوام عن فخرهم برجال أوليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن[572] هذه قاعدة الإسلام الأصلية في المساواة، كما تحددت في آيات القرآن الكريم، وبينتها السنة المشرفة. وجاء في الإسلام معيار للتفاضل، يتساوى أمامه الخلق جميعا على اختلاف الأجناس والألوان، والحرية والعبودية، إنه معيار التقوى. إن التقوى معيارالكرامة الإنسانية عند الله تبارك وتعالى ومع ذلك فهي معيار الصلاح في الدنيا، وهو معيار حقيقي وعملي، إذ إن صلاح الإنسان في دنياه، يجعله أفضل لنفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه، من غيره الذي لا يفيد نفسه ولا مجتمعه بشيء. وقد هدم الدين الإسلامي بهذا المعيار الحقيقي الذي يرتقي بحياة الإنسان والمجتمع،كل المعاييرالزائفة، التي أشار القرآن الكريم إلى الكثير منها. يقول الله تعالى في الإنكارعلى أصحاب المعاييرالزائفة في التفاضل: قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ[573] مما يدل على أنهم لم يؤمنوا، لأن مَن هم أقل منهم قدآمنوا بالرسول ﷺ. انظر سورة البقرة 2 الآية 13. ولما طلب وجهاء قريش ومن كانوا يحسبون أنفسهم سادة قومهم، من النبي ﷺ أن يطرد الفقراء والمساكين وضعاف الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به، كعمار بن ياسر، وبلال،

([572]) الترمذي المناقب (3955) ، أبو داود الأدب (5116). رواه الإمام أحمد في مسنده: جـ2 / ص 361 ، وأبو داود في سننه: كتاب الأدب ، باب في التفاخر بالأحساب ، والترمذي في سننه: كتاب التفسير ، باب ومن سورة الحجرات. والعبية ، بضم العين ، ويسر الباء المشددة ، وفتح الياء المشددة ، هي التكبر ، والنخوة.

[573] *القرآن*، سورة الشعراء 26 : 111.

بحجة أنهم يريدون أن يستمعوا إلى النبي ﷺ ولكنهم لا يجلسون مجلسا يكون فيه هؤلاء محل الرعاية من الرسول الكريم. وبين النبي ﷺ معنى المساواة، حين شفع وجهاء من القوم، في إعفاء امرأة شريفة وجب عليها حد السرقة، حتى لا توقع عليها العقوبة، فأبى النبي ﷺ ذلك، ونبه إلى عدم جواز الشفاعة في حدود الله؛ لأن ذلك يخل بمبدأ المساواة بين الناس، ويؤدي إلى إيثار ذوي الوجاهة بإعفائهم من العقاب، مع إقامة الحدود على ضعفاء الناس، وبين الرسول ﷺ أن ذلك الأمر إذا ساد في مجتمع أدى به إلى الزوال، فقال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.[574]

3. موقف الإسلام من جميع الديانات، نشأ الإسلام في شبه جزيرة العرب بين طوائف مختلفة المنازع، متباينة الأهواء والمشارب، لا دين يجمعهم، ولا رابطة تضم شملهم. نشأ بين قوم مشركين يعبدون الأوثان ويعظمون الأنصاب ويقتسمون بالأزلام.[575] الإسلام دين الرحمة ودعا المشركين والكفار إلى عبادة الله العزيز القهار الذي لا إله إلا هو، ناديهم إلى توحيد الله وذلك لإنقاذهم من عبادة العبَاد إلى عبادة رب العبَاد،أوعبادة المخلوق إلى عبادة

---

[574] *البخاري* أحاديث الأنبياء (3288) ، *مسلم* الحدود (1688) ، الترمذي الحدود (1430) ، *النسائي* قطع السارق (4903) ، *أبو داود* الحدود (4373) ، *ابن ماجه* الحدود (2547) ، *أحمد* (162/6) ، *الدارمي* الحدود (2302). *رواه البخاري في صحيحه*: كتاب أحاديث الأنبياء ، ومسلم في صحيحه: كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره ، والنهي عن الشفاعة في الحدود ، واللفظ للبخاري.

[575] المرجع السابق، *بدران أبو العينين بدران، العلاقة الإجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين*، ص. 12، وانظر كذلك ابو الحسن على الحسيني الندوى1409هـ\1989م، *ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين*، دار فجر النيل، ط. 2. ص. 47

الخالق، ولإخراجهم من ضيق الدنيا، إلى سعة الدنيا والآخرة .هذا ما قام به النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم و من تبعه إلى يوم الساعة. وإن لم يقبلوا ما أتى به النبي ﷺ و أصحابه، فلهم الحر أن يختاروا ما تيقنوا. أمر الإسلام في الدعوة إليه بالرفق والحسنى، وأمر بمناقسة المخالفين بالحسنى. انظر سورة النحل الآية 16. وكما أوضح الله للنبي أن يبلغ الدعوة ويبشر بالإسلام وليس مكلفا أن يحمل الناس عليه بالقوة، وأمره أن يجير المشرك إذا لجأ إليه واحتمى به وأمر الله المسلمين أن يفوا بعهودهم لمن عاهدوهم سواء كانوا من أهل الكتاب أم من المشركين. كان حريا بالإسلام أن يقف قوم بادأوه بالعدوان وناؤوا بدعوته وأرادوا كسر شوكته، والقضاء عليه في مهده موقفا معاديا فيقابل العدوان بمثله. ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك على الرغم مما استهدف المسلمون له في أول أمرهم من أذى المشركين، بل دعا الإسلام أتباعه إلى الصبر وعدم مقابلة العدوان بمثله، مكتفيا أول الأمر بحث المسلمين الإبتعاد عنهم، حتى لا ينالهم أذى، أويصيبهم مكروه من جراء الاختلاط بهم، والامتزاج بطوائفهم.[576] لقد خاف الإسلام على أهله من أفكار المشركين السقيمة، وتعاليم الفاسدة فدعاهم إلى مجانبتهم والإبتعاد عنهم و لم يشرع قتالهم ابتداء إلا حين حاربوا المسلمين، وخيف على ضياع دعوتهم، عند ذاك أمر الله المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم، ويحفظوا دينهم وعقيدتهم، واستتبع الأمر بالقتال استباحة أموال المشركين أن تغنم، وبلادهم أن تتملك. وشدد الله النكير على صلتهم

---

[576] المرجع السابق، بدران أبو العينين بدران، *العلاقة الإجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين*، ص. 13- 14

ومحبتهم. وكذلك منع الله المسلمين من مناكحتهم ومصاهرتهم[577] وإرثهم وحرم على المسلمين دبائحهم، ومنع المشركين من دخول المسجد الحرام.[578] كما بين الله فى سورة البقرة 2 الآية 221 . وفى وقت السلام فلهم السماحة والعدل والدعوة إلى الله تبارك وتعالى كما شرح من قبل.

4. موقف الإسلام من الأديان السماوية.

الإسلام بمعنى العام هوإسلام الوجه لله تعالى أو التذلل لطاعته والإذعان لأمره والخضوع الكامل له بالجوارح ظاهرا وباطنا والخلوص من الشرك بكل صوره وأشكاله. هو دين جميع الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم عليهم الصلاة والسلام ودين من اتبعهم من الأمم السابقة.[579] ويتناول إطلاقه جميع الديانات التي أمر الله تعالى رسله أن يبلغوها للناس، لأنه روحها الكلي، على اختلاف في بعض التكاليف والأعمال، وينضوي الإنسان تحت راية الإسلام عندما تصح عقيدته، وتخلص من كل شائبة من شوائب الشرك والنفاق، ويخلص في إيمانه وعمله لله تعالى، وهذا هو المراد بقوله تعالى: وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.[580] فالإسلام بمفهومه

---

577 محمد على الصابونى، 1400هـ\1980م ، *روائح البيان، تفسير آيات الأحكام من القرآن*، مكتبة الغزالى ، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ص. 283 – 286

578 هذا على رأي الشافعية و المالكية و الحنابلة. وأما الحنفية فجوزوا دخولهم لحاجة أو لغير حاجة.

579 انظر *تفسير الإمام الطبري*، ج. 25 ، ص.14-15 و *تفسير ابن كثير*، ج. 2 ، ص. 167 ، 199، 426، *النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية* 87,1419هـ\1999م، *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، دار العاصمة، الرياض. الطبعة الثانية. 1\5، 11، 2\32-35،

580 *القرآن*، سورة آل عمران 3 : 85

القرآني المشرق اسم للدين الإلهي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل، وانتسب إليه أتباعهم جميعاً. والإسلام هو دعوة أبي الأبياء، إبراهيم ﷺ، دعوة الإسلام الخالص أصريح، لايرغب عنها وينصرف إلا ظالم لنفسه، سفيه عليها وبين الله ذلك فى سورة البقرة 2 الآية 130-131، ولذلك يندد الله تعالى بمزاعم اليهود والنصارى ويبين لهم حقيقة دين إبراهيم ﷺ (سورة آل عمران 3 الآية 67) وأخبر الله تعالى عنه وعن ابنه اسماعيل — عليهما السلام– بأنهما متسلمان لله وخاضعان لطاعته لا يشركان معه فى الطاعة أحدا سواه – ولا فى العبادة غيره– فهما مسلمان لله (سورة البقرة 2 الآية 127–128). ولم يكتف إبراهيم ﷺ بذلك، بل تركها كلمة باقية فى عقبة، وجعلها وصية لذريته كما بين الله تعالى فى سورة البقرة 2 الآية 131 – 132 . وهي الوصية التى كررها يعقوب ﷺ فى آخر لحظة من لحظات حياته، والتى كانت شغله الشاغل الذى لم يصرف عنه الموت وسكراته، واستجاب أبناؤه لهذه الوصية والدعوة فأسلموا كما أسلم أبوهم ومن سبقه كما قال الله فى كتابه سورة البقرة 2 : 133، وأخبر الله تعالى عن يوسف ﷺ وهو يتجه إلى ربه فى تسبيح الشاكر الذاكر فى كل دعوته، وهو فى أبهة السلطان وفى فرحة تحقيق الأحلام: أن يتوفاه ربه —حين يتوفاه مسلما، فيتم بذلك عليه نعمه فى الآخرة — كما أتمها فى الدنيا – وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين. وقال موسى ﷺ وقد دعا قومه إلى الإسلام. وفرعون، عندما أدركه الغرق وعاين الموت، أعلن إيمانه واستسلامه، وهو يوقن أن الإسلام هو دعوة موسى ﷺ (انظر القرآن، سورة يونس 10

الآية 84 و90) وسحرة فرعون، لما رأوا آيات ربهم وأيقنوا أنهم إليه راجعون، دعوة الله عز وجل أن يتوفاهم مسلمين لله متابعين لموسى فى دينه، كما أشار الله فى كتابه سورة الأعراف 07 الآية 126. والإسلام هو دعوة سليمان ﷺ وقد وجهها أيضا لبلقيس فى كتاب: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ.[581] فاستنار قلب بلقيس لهذه الدعوة واعلنت إسلامه وتوحيدها مخلصة لله رب العالمين وأكد الله ذلك فى سورة النمل 27 الآية 30-31. وقال تعالى عن أنبياء بني إسرائيل: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا.[582] وأخبر الله تعالى عن حواريي عيسى ﷺ، فقال: أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ.[583] ولما وجد عيسى ﷺ من بني اسرائيل الذين أرسل إليهم- الكفر، سألهم من أنصاري على الله؟ فاستجاب الحواريون لدعوة الإيمان بالله وأتباع عيسي فى دينه الإسلامى وأشهدوه على ذلك ليكتبهم الله مع الذين شهدوا بالحق وأقروا له بالتوحيد. و أخبر الله ﷻ مخاطبا محمدا ﷺ أنه شرع من الدين ما وصى به الأنبياء قبله وصية واحدة، وهى إقامة الدين الحق[584] و أشار ذلك الله فى سورة الشورى 42 الآية 13.

---

[581] *القرآن*، سورة النمل 27 : 30-31

[582] *القرآن*، سورة المائدة 5 : 44

[583] *القرآن*، سورة المائدة 5 : 111

[584] عثمان بن جمعة ضميرية، 1410هـ\1990م، *الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخرى*، الطائف: دار الفاروق، ط.1.ص. 16

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وهذا خبر من الله عز وجل: أن الإسلام دينه الذى بعث به عيسى والإنبياء قبله، والذى بعث به محمد ﷺ، وهم على دين التوحيد والإسلام، كما أن ابراهيم ﷺ. يخبر الله تعالى أن دين الأنبياء جميعا دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وأرسل الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين، ومصدقاً لجميع الرسل الذين كانوا قبله، وأنزل الله تعالى على رسوله القرآن الكريم تبياناً لكل شيء ومصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها وحارساً أمينا لها .وكان من عناصر الإيمان: الإيمان بجميع الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية. بل إن إيمان المؤمن لا يكون صحيحاً إلا إذا آمن بجميع الأنبياء السابقين، وآمن بما أنزل الله تعالى عليهم من الكتب السماوية الصحيحة، كان الإيمان برسل الله جميعا، دون تفريق، هو شرط لا يتجزأ، فعندما يكفر بواحد من رسل الله يكون قد كذّب الله الذى أرسله. ولأن جميع الرسل عليهم السلام جاؤوا بكلمة التوحيد، فإن الله ﷻ يقول عمن يكذب بواحد منهم إنهم يكذبون الرسل- مع أنهم لم يرسل إليهم إلا رسولا واحدا، ليوحى التعبير بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيب الرسل كلهم، لأنهم كلهم يقولون ذات الشيئ بلا تغيير- فمن جذب واحدا فقد كذبهم جميعا.[585] ومادام كل مسلم مأموراً أن يؤمن بجميع الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية، فلا يكون لديه تعصب، ولا كراهية لدين آخر أو نبي أو رسول، ولا كراهية ولا حقد على أحد من أتباع الديانات

[585] المرجع السابق، عثمان بن جمعة ضميرية، 1410هـ\1990م، *الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخرى*. ص. 22

الأخرى .ووضع القرآن لأتباعه ما قضته الإرادة الإلهية منذ الأزل، من اختلاف الناس في عقائدهم وأجناسهم وألوانهم، وذلك لحكمة يعلمها الحكيم الخبير. ولا يحجر الإسلام على أحد، ولا يكره أحدا على الدخول في عقيدته. وقد أوصى الإسلام بحُسْن المعاملة والعلاقة بين أبنائه والمسالمين من أتباع هاتين الديانتين، ما لم يكن من أهلها عُدوان أو طغيان على المسلمين، حتى قال القرآن الكريم في سورة الممتحنة الآية :8- 9. الإسلام يدعو للتقارب مع أهل الكتاب ونبذ العصبية ، والمسلمون يؤمنون بأن الأديان السماوية كلها على أصلها من عند الله، ويجب على أبنائها أن يتلاقوا جميعًا على كلمة سواء، ولكن العصبية الدينية كان لها دخل كبير خلال عصور التاريخ في توسعة حدة الخلاف بين أبناء هذه الأديان، والإسلام يحكم أنه قد جاء أخيرًا ومُكَمِّلًا قد قَرَّر أن من أصول الإسلام الإيمان والتصديق بالأديان السماوية كلها وبالرسل جميعها .وذلك بخلاف الديانات الأخرى، فإنها لم يعترف أبناؤها بالإسلام ولم يتقبلوه، فبينما يعترف المسلمون بموسى نبيًّا ورسولًا، وبعيسى نبيًّا ورسولًا، لا يعترف أبناء اليهودية والنصرانية بمحمد نبيًّا ورسولًا. الإسلام صَرِيح في الحُكم على نُسَخِ الكتب المنسوبة إلى الله، فإنها قد نالها التحريف والتبديل، والحذف والزيادة، وهذا شيء طبيعي؛ لأن تطاول الزمن مع كثرة الاختلاق والافتراء، ومع الرغبة في استغلال الدين لأجل الدنيا، يُؤدي إلى ذلك، والأناجيل بأيدي أصحابها هي بإقرارها نفسها ليست كُتبًا سماوية، بل هي تلخيص لحياة السيد المسيح عليه السلام لجانب من أقواله، ولكن نصُّ القرآن متواتر، لم ينله تحريف أوتغيير،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وهذه إحدى خصائصه التي اعترف بها أبناؤه وأعداؤه. وكلما بعدت نسخة الإنجيل عن التحيز اقتربت من منطوق القرآن ومفهومه كما جاء في إنجيل برنابا.

5. الموقف الصحيح تجاه أيات التعددية التعددية

أول ما أثارت التعددية الدينية فى أذهان رواد ها هو تنوع الديانات ومعضلة محبة الله الشاملة واللامحدودة للبشر، ومدى انسجامها مع عقيدة حصرية الخلاص. يقول هيك حين تتعرف على أناس من أديان أخرى، فإن حالة التشويش وارتباك تبدأ تُقلق وعينا. نحن كمسيحيين نقول أن الله محب للكون، وأنه أبو جميع البشر وخالقهم، وأنه يريد الخلاص الأقصى والخير الأكمل لكل البشر. لكننا بالمقابل نردد الموقف التقليدي بأن المسيحية هى طريق الخلاص الوحيد. مما يعنى ان الغالبية العظمى من الجنس البشري، من الذين عاشوا وماتوا حتى الساعة، والذين عاشوا قبل المسيح أو عاشوا خارج مجال المسيحية، هم محرومون جميعا من نعمة الله وحبه، عندها يتسائل هيكهل يمكن قبول الاستنتاج بأن الله المحب الذى يريد الخلاص لجميع البشر، يمنح الخلاص للأقلية من البشر فقد، الذين هم المسيحيون دون غيرهم.[586] من هذا التسائل يتأثر بعض مثقفي المسلمين من روادها ومن وجود تعدد الأديان السماوية إلى أن يطرحوا أن كل متدين من اليهود والنصارى والصابئين من كان منهم يؤمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا

[586] *المرجع السابق*، وجيه قانصو ، ص. 48

فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون، واستدلوا بآيتين 62 من سورة البقرة و 69 من سورة المائدة، والآيات الأخري لتأييد و تصحيح آرائهم. وتلك الآيات هي: 1). سورة البقرة 2 الآية 62 و سورة المائدة 5 الآية 69، 2). سورة المائدة 5 الآية 48. 3). سورة هود 11 الآية 118-119، 4). وما معانيها الحقيقة عند المفسرين؟

الآية الأولى نزلت فى أصحاب سلمان الفارسى بينا هو يحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم فقال كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله ﷺ يا سلمان هم من أهل النار فاشتد ذلك على سلمان فأنزل الله هذه الآية فكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى ﷺ حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها و لم يتبع عيسى كان هالكا وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد ﷺ فمن لم يتبع محمدا ﷺ منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكا.[587]

5.1 مفهوم الآية فى القسم الأول

[587] أبو الفداء إسماعيل بن كثير تفسير ابن كثير، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ، من إصدارات، موقع أم الكتاب للأبحاث والدراسات الإلكترونية ، info@omelketab.net عن

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

لهاتين الآيتين تفاسير أربعة، يتلاقى ثلاثة منهن فى مفهوم واحد يعاكس غيره و تفصيلها كما[588]. يلى:

الأول: وروي عن ابن عباس أنها نزلت في أوّل الإسلام ، وقدر الله بها أن من آمن بمحمد ﷺ، ومن بقي على يهوديته ونصرانيته وصابئيته ، وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، فله أجره، ثم نسخ ما قدر من ذلك بقوله :﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[589]. وردّت الشرائع كلها إلى شريعة محمد ﷺ.[590]

الثانى : وقال غير ابن عباس: ليست بمنسوخة ، وهي فيمن ثبت على إيمانه بالنبي ﷺ. وروى الواحدي، بإسناد متصل إلى مجاهد، قال: لما قص سلمان على النبي ﷺ قصة أصحابه ، وقال له هم في النار، قال سلمان : فأظلمت عليّ الأرض، فنزلت إلى يَحْزَنُونَ ، قال: فكأنما كشف عني جبل.[591] وفى تفسير القرآن العظيم للإمامين الجليلين أن معنى الإيمان هومَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي زَمَن نَبِيِّنَا محمد ﷺ

---

[588] انظر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، 1420 هـ - 2000 م، جامع البيان في تأويل القرآن ، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى، الجزء الثانى، ص. 148. و الرازى ، *تفسير الكبير*، ج. 2. 135 وابن كثير ج. 2. ص. 80، وانظر كذالك محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، 1422 هـ - 2001 م، *تفسير البحر المحيط* ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق 1) د.زكريا عبد المجيد النوقي) د.أحمد النحولي الجمل، دار النشر : دار الكتب العلمية – ط.1، ج. 1. ص. 403-404

[589] *القرآن*، سورة آل عمران 3 : 85

[590] محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، 1422 هـ - 2001 م، *تفسير البحر المحيط* ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق 1) د.زكريا عبد المجيد النوقي) د.أحمد النحولي الجمل، دار النشر : دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى، ص. 403 -404

[591] المرجع السابق، كذالك محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، 1422 هـ - 2001 م، *تفسير البحر المحيط* ، ص. 404، انظر، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى،1424هـ\2003م ، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل*، بيروت: دار أحياء التراث العربي، الطبعة الاولى، ص. 76

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وَعَمِلَ صَالِحًا بِشَرِيعَتِهِ فَلَهُمْ أَجْرهمْ أَيْ ثَوَاب أَعْمَالهمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ رُوعِيَ فِي ضَمِير آمَنَ وَعَمَل لَفْظ مَنْ وَفِيمَا بَعْده مَعْنَاهَا.[592]

ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر الكفرة من أهل الكتاب، وما حل بهم من العقوبة، أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم، دالاً على أنه يجزي كلاً بفعله، والذين آمنوا منافقوا هذه الأمّة، أي آمنوا ظاهراً، ولهذا قرنهم بمن ذكر بعدهم، ثم بين حكم من آمن ظاهراًوباطناً، قاله سفيان الثوري أوالمؤمنون بالرسول. ومن آمن: معناه من داوم على إيمانه، وفي سائر الفرق: من دخل فيه، أو الحنيفيون ممن لم يلحق الرسول: كزيد بن عمرو بن نفيل، وقيس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، ومن لحقه: كأبي ذر وسلمان وبحيرا. ووفد النجاشي الذين كانوا ينتظرون المبعث، فمنهم من أدرك وتابع، ومنهم من لم يدركه، والذين هادوا كذلك، ممن لم يلحق إلا من كفر بعيسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، والنصارى كذلك، والصابئين كذلك، قاله السدّي أوأصحاب سلمان، وقد سبق حديثهم، أوالمؤمنون بعيسى قبل أن يبعث الرسول، قاله ابن عباس، أو المؤمنون بموسى، وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى فآمنوا به وعملوا بشريعته، إلى أن جاء محمد، قاله السدي عن أشياخه، أو مؤمنوا الأمم الخالية، أوالمؤمنون بالله وملائكه وكتبه

592 المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين ، موقع التفاسيرhttp://www.altafsir.com ،- (ج. 1 / ص 68

ورسله من سائر الأمم.[593] وعلى نوعه ما رأي الشوكاني فى فتح القدير[594] بأن المراد بالإيمان ها هنا هوما بينه رسول الله ﷺ من قوله لما سأله جبريل عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره" ولا يتصف بهذا الإيمان إلا من دخل في الملة الإسلامية فمن لم يؤمن بمحمد ﷺ ولا بالقرآن فليس بمؤمن ومن آمن بهما صار مسلما مؤمنا ولم يبق يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا.[595] بل شرح أبو زهرة أن والإيمان بالله تعالى هوالإيمان بالله باعتقاد وحدانيته فى الخلق والتكوين بأن لا يعتقدوا أن أحدا شارك الله تعالى فى إنشائه الخلق، وأنه وحده خالق كل من فى الوجود وبه لا تخرج حركة عن حركة فى الوجود، وإنما ذلك قيوميته وإرادته، وأنه ليس بوالد ولا ولد ولم يكن له كفوا أحد، وأنه جلت صفاته، فليس كمثله أحد، وهوالسميع البصير، وأن يؤمن باليوم الاخروما فيه من حساب، وثواب وعقاب، وأن يؤمن بملائكته وكتبه ورسله.

هذا هو الإيمان فمن آمن من أتباع بمحمد ﷺ ذلك الإيمان، وأردف إيمانه بالعمل الصالح الذى يكون طاعة لله تعالى وفيه صلاح الناس، وكذلك من آمن من اليهود بالله والملائكة الأطهار والرسل الأمجاد ومنهم محمد بن عبد الله رسوله الأمين،

---

593 نفس المرجع.

594 وانظر الإمام الجليل محمد أبو زهرة، *زهرة التفاسير* ، دار الفكر العربي، الجزء الأول. ص. 254

595 محمد بن علي بن محمد الشوكاني، *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، بيروت، دار الفكر، الجزء الأول. ص. 93 – 94.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

علم أن الله منزه عن مشابهة المخلوقين، وأنه ليس كمثله شيء وعمل صالحا. وكذلك النصارى إذا آمنوا بالله ورسله وأنه ليس بوالد ولا ولد. هذا هو الإيمان بالله حق الإيمان. وكذلك الصابئون من توافر فيهم ذلك الإيمان الموحد بالله تعالى فى الخلق والتكوين والعبادة وآمن بالغيب، وملائكته وكتبه ورسله عامة ورسوله بمحمد ﷺ خاصة.

هؤلاء إذا آمنوا ذلك الإيمان، وأخلصوا لله ذلك الإخلاص وقووا إيمانهم بالعمل الصالح الذى يكون فيه الطاعة لله ولرسله والاستجابة لكل ما أمر به – من كانوا كذلك فلا خوف عليهم من عقاب ينزل بهم، ولا يحزنون على ما فاتهم فى ماضيهم من شر، لأن الإيمان يجمع ماقبله كما قال تعالى: قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ[596]، فلا يأسون على ما فاتهم ويفرحون بما أتاهم. ثم قبس قبسة من صورة الإيمان كما علّم جبريل أمة محمد ﷺ فى حديث طويل عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيْمَانِ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ صَدَقْتَ، ... ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ : يَا عُمَرَ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟

[596] القرآن، سورة الأنفال 8 : 38

قُلْتُ : اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمَ . قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ . (رواه مسلم).[597]

الثالث: هذا ما ذهب إليه البيضاوى فى تفسيره أن الآيتين السابقتين تدلان على من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد ، عاملاً بمقتضى شرعه. وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ، ودخل في الإسلام دخولاً صادقاً: فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم. وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ حين يخاف الكفار من العقاب، ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب. و مِنْ مبتدأ خبره فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ والجملة خبر إن، أو بدل من اسم إن وخبرها فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ والفاء لتضمن المسند إليه معنى الشرط، وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل الشرطية، ورد بقوله تعالى: إِنَّ الذين فَتَنُواْ المؤمنين والمؤمنات ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ.[598]

الرابع: ما ذهب إليه محمد رشيد رضا فى تفسيره المنار أنه قال: ولا إشكال فى عدم اشتراط الإيمان بالنبي ﷺ، لأن الكلام فى معاملة الله تعالى لكل الفرق أو الأمم المؤمنة بنبي و وحى بخصوصها، الظانة أن فوزها فى الآخرة كائن لا محالة، لأنها مسلمة أويهودية أونصرانية أوصابئة مثلا، فالله يقول: إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس، وعمل

---

[597] حديث جبريل الشهير ، رواه بهذا اللفظ *مسلم* : كتاب الأيمان (9) ، و *رواه ابن ماجه* : المقدمة (62) ، *والبخارى* : الإيمان (48) ، *والنسائى* (4 0 49) *وأبو داود* (4975) *وأحمد* : مسند العشرة المبشرين!179).

[598] *تفسير البيضاوى*، ص. 158

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يصلح به حال الناس، ولذلك نفى كون الأمر عند الله بحسب أمانى المسلمين أو أمانى أهل الكتاب، وأثبت كونه بالعمل الصالح مع الإيمان الصحيح.[599]

القول الأول يبينا أن الأديان السماوية كلها حق ولها حق للوجود وذلك لأن الدين عند الله هوالإسلام وماهوغيرالإسلام مردود أمام رب العالمين وخسر من يبتغيه دينا له.

والقول الثانى أوضحنا حدود الإيمان الصحيحة والعمل الصالح المقبول عند الله هو الإيمان بالذى جاء به النبي محمد ﷺ و العمل به.

والقول الثالث هو التلفيق بين القول الأول والثانى أن الإيمان والعمل الصالح الذى يجزى بهما ما صلح بما جاء به الرسل والأنبياء مدي أزمانهم. وفى عهد موسى بما صلح بالتوراة وعهد عيسى بما صلح بالإنجيل، وكذلك عند محمد ﷺ أن يكون الإيمان والعمل الصالح ما يطابق تعاليم القرآن الذي جاء به محمد ﷺ.

والقول الرابع ما جاء به محمد رشيد رضا فى تفسيره الشهير المنار. إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس، وعمل يصلح به حال الناس.

5.2 مفهوم الآية فى القسم الثانى "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا

[599] محمد رشيد رضا، 1427 هـ\2007م، *تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار*، ص. 244

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ."[600] قال الإمام الطبرى: فمعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلى الحق يؤمُّه، وسبيلا واضحًا يعمل به.[601] فقال بعضهم: عنى بذلك أهلَ الملل المختلفة، أي أن الله جعل لكل مِلّةٍ شريعة ومنهاجًا.[602] عن قتادة قوله: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا يقول: سبيلا وسُنّة. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيدُ والإخلاصُ لله، الذي جاءت به الرسل.[603] لأن الله تعالى ذكر ما كتب على بنى إسرائيل فى التوراة، وتقدم إليهم بالعمل بما فيها، ثم قفى بعيسى ابن مريم على آثار الأنبياء قبله وأنزله عليه الإنجيل وأمره من بعثه إليه بالعمل بما فيه وثم ذكر نبينا محمدا ﷺ، وأخبره أنه أنزل إليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب، وأمره بالعمل بما فيه والحكم بما أنزل إليه فيه دون ما فى سائر الكتب غيره، وأعلمه أنه قد جعل له ولأمته شريعة غير شرائع الأنبياء والأمم قبله الذين قص عليه قصصهم، وإن كان دينه ودينهم، وفى توحيد الله والإقرار بما جاءهم به من عند الله والانتهاء إلى أمره ونهيه واحدا، فهم مختلفون الأحوال فيما شرع لكل واحد منهم ولأمته فيما أحل لهم وحرم عليهم.

---

600 *القرآن* ،سورة المائدة 5 : 48

601 المرجع السابق، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ج. 10، ص. 384

602 *نفس المرجع*، ج. 10، ص.385

603 *نفس المرجع*، ج. 10، ص.385

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ويدل على ذلك في قوله تعالى بعده "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" فلو كان هذا خطابا لهذه الأمة لما صح أن يقول:"ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" وهم أمة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجميع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدا ﷺ الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الأنبياء كلهم ولهذا قال تعالى "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم" أي أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليخبر عباده فيما شرع لهم ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله وقال عبد الله بن كثير "فيما آتاكم" يعني من الكتاب ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة اليها فقال "فاستبقوا الخيرات" وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ثم قال تعالى "إلى الله مرجعكم" أي معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة "فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" أي فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق فيجزي الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم معاندون للبراهين القاطعة والحجج البالغة و الأدلة الدامغة و قال الضحاك فاستبقوا

الخيرات يعني أمة محمد ﷺ.[604]

استنباطا من مفهوم الآية السابقة أنها لا تدل علي تأييد التعددية الدينية جاء بها مؤيدوها فى إندونيسيا وصحتها بل إنما كما أخرجه الطبري عن قتادة قوله: ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره : التوحيدُ والإخلاصُ لله ، الذي جاءت به الرسل.

5.3 مفهوم الآية فى القسم الثالث: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ[605] لفظ أمة تدل على القرن من الناس، يقال: قد مضت أمم أي قرون، وأمة كل نبي: من أرسل إليهم من كافر ومؤمن. وقيل: الأمة الجيل والجنس من كل حيّ. ومن ناحية الإصطلاح هي الجماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد وتجمعهم صفات موروثة ومصالح وأماني واحدة، أويجمعهم أمر واحد من دين أومكان أوزمان، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أم اختيارا. وقيل إن أمة محمد ﷺ كل من أرسل إليه ممن آمن به أوكفر، فى حين أن أمة الإسلام هم المسلمون جميعا.

وقد ركز القرآن الكريم على مفهوم الأمة التى توصف بأنها أمة واحدة، ويقول الله

---

[604] المرجع السابق، *تفسير ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن كثير*. ج.2، ص. 130

[605] *القرآن* ،سورة هود 11 : 118-119

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تعالى: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ[606] يقول تعالى: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ،[607] والمراد بالأمة الواحدة هنا أمة الأنبياء فهي أمة واحدة تدين بعقيدة واحدة وتنهج نهجا واحدا هو الاتجاه إلى الله دون سواه.[608]

وقد كان الناس في الأصل أمة واحدة على الحق ثم اختلفوا، يقول الله تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً[609] يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كُلِّهم أمة واحدة إلى قيام الساعة، من إيمان أو كفران، كما قال ﷻ: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا،[610] ولكنه ﷻ أراد أن يختبر خلقه ليميز الخبيث من الطيب، ويقول تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119) قال الزمخشري: يعني لاضطرارهم إلى أن يكونوا أهل ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله: وإن هذه أمتكم أمة واحدة وهذا كلام يتضمن نفي الاضطرار، وأنه لم يقهرهم على الاتفاق على دين الحق، ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحق،

---

606 *القرآن*، سورة الأنبياء 21 : 92

607 *القرآن*، سورة المؤمنون 23 : 52

608 هيئة التحرير، اشراف محمود حمدي زقزوق،1422هـ\2001م، *الموسوعة الإسلامية العامة*، القاهرة: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص. 212

609 *القرآن*، سورة البقرة 2 : 213

610 *القرآن*، سورة يونس 10: 99

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وبعضهم الباطل،[611] إلا المرحومين من أتباع الرسل، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين. أخبرهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم، حتى كان النبي ﷺ الأمي خاتم الرسل والأنبياء، فاتبعوه وصدقوه ونصروه ووازروه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية، كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن،[612] أو إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم، فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خَلَقَهُمْ) ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأوّل وتضمنه، يعني: ولذلك من التمكن والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم، ليثيب مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) وهي قوله للملائكة (لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجنة والناس أَجْمَعِينَ) لعلمه بكثرة من يختار الباطل.[613] ذهب الطبري وابن كثير في الاختلاف الذي وصف الله الناس أنهم لا يزالون به إلى الاختلاف في الأديان، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء: ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى، من بين يهوديّ ونصرانيّ، ومجوسي، ونحو ذلك. واستثنى الله من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان.[614]

بعد أن لاحظ الباحث تفاسير هذه الآية من كتب التفسير، رأى أن هذه الآية ما دلت على قبول النظرية التعددية الدينية، بل بينت الآية أن الاختلاف يؤدي إلى إيقاع

---

611 *تفسير البحر المحيط* ،ج. 6 ، ص. 474 و انظر *الكشاف*،ج. 3 ، ص. 136.

612 *نفس المرجع*

613 *نفس المرجع*

614 *تفسير الطبري* ، ج. 15، ص . 531 .

السقاوة ودخول جهنم. وكون الاختلاف والاتفاق أمرا اختياريا، من اختار الاتفاق مع الأنبياء سعد و من اختار الاختلاف عليهم خسر الدنيا والآخرة.

وكلمة (ولذلك خَلَقَهُمْ) فسر المفسرون آراء ثلاثة:

الأول: أن كلمة ولذلك خلقهم عند أكثر المفسرين خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه عن الحسن قال: أما أهل رحمة الله فإنهم لا يختلفون اختلافًا يضرُّهم.[615] وقول آخر خلقهم فريقين: فريقًا يرحم فلا يختلف، وفريقًا لا يرحم يختلف، وذلك قوله: فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، (سورة هود: 105).[616] قال يونس عن أشهب قال: سئل مالك عن قول الله:(ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) ، قال: خلقهم ليكونوا فريقين: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير.[617]

الثانى : (إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه (ولذلك خَلَقَهُمْ) أي أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها[618] وكذلك عن مجاهد:(ولذلك خلقهم)، قال: للرحمة خلقهم، وفى نفس الرأي عن قتادة و الضحاك و قال عكرمة: (ولذلك

---

[615] تفسير الطبري ، ج. 15 ، ص. 535.

[616] نفس المرجع ، ص. 536

[617] نفس المرجع

[618] تفسير الجلالين . ج. 4 ، ص. 91.

خلقهم) هم أهل الحقّ ومن اتبعه لرحمته.[619]

الثالث : ما هو من الغريب عند الألسى[620] ما روي عن الحسن أن المراد من الاختلاف: الاختلاف في الأرزاق والأحوال وتسخير بعضهم بعضاً ، وقال ابن بحر: المراد أن بعضهم يخلف بعضاً فيكون الآتي خلفاً للماضي ، ومنه ما اختلف الجديدان أي ما خلف أحدهما صاحبه ، وإلى هذا ذهب أبو مسلم إلا أنه قال : يخلف بعضهم بعضاً في الكفر تقليداً، وفي ذلك ما فيه، وأياً مّا كان فالظاهر من الناس العموم وليتأمل هذه الآية مع قوله تعالى: (وَمَا كَانَ الناس إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً)[621] وليراجع تفسير ذلك .[622]

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم، لأن الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عقّب ذلك بقوله:(ولذلك خلقهم)، فعمّ بقوله: (ولذلك

---

[619] *المرجع السابق، تفسير الطبري* ،ج. 15 ، ص. 537.

[620] أبوالثناء شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألُوسي (1217-1270هـ، 1802-1854م). فقيه ومفسر ومحدث. ولد في بغداد، وتلقى العلوم على شيوخ عصره، وكان شديد الحرص على التعلم ذكياً فطناً، لايكاد ينسى شيئًا سمعه، حتى صار إمام عصره بلا منازع. اشتغل بالتأليف والتدريس في سن مبكرة، فذاع صيته وكثر تلاميذه، تولى منصب الإفتاء وبقي فيه حتى سنة 1263هـ .قام بعدة زيارات علمية إلى الآستانة وغيرها. له عدة كتب قيِّمة، أبرزها تفسيره الكبير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الذي استغرق تأليفه خمس عشرة سنة، ويُعدُّ هذا التفسير موسوعة كبيرة جمع فيه الألوسي خلاصة علم المتقدمين في التفسير، وقد ذكر فيه بعض إشارات الصوفية في التفسير. توفي الألوسي في ذي القعدة في بغداد ودُفن فيها. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية Global http://www.mawsoah.net Arabic Encyclopedia

[621] *القرآن*، سورة يونس 10: 19

[622] *تفسير الألوسي*، ج. 8 ، ص. 409.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

خلقهم)،صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميَسَّرلما خلق له.[623]وقيل:إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت، وإنما معنى الكلام: ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم وملهم،(إلا من رحم ربك)، فهداه للحقّ ولعلمه، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر، والشقي والسعيد خلقهم، فمعنى اللام في قوله: (ولذلك خلقهم) بمعنى على كقولك للرجل: أكرمتك على برك بي، وأكرمتك لبرك بي.[624] الاختلاف في قول تعالى ولذلك خلقهم ليس دليلا لتحقيق التعددية الدينية، بل إنما الاختلاف يؤدي إلى إيقاع السقاوة ودخول جهنم لاختياره بكفره وشرحا لمن خلق مؤمنا سوف يدخل الجنة لكونه لم يختار الاختلاف لإيمانه بالله رحمته له.

بعد استعراض الآيات التي تعتبر لدعم فكرة التعددية الدينية التي دعا إليها مروجها الأكاديميون المسلمون في إندونيسيا، لم يجد الباحث أساسا قويا من المفسرين أن الآيات السابقة التي من شأنها أن يحقق حقيقة التعددية الدينية، لذلك كانت فكرة التعددية عند الباحث باطلة. الأديان السماوية[625]من النبي الأول آدم إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ واحدة. لم يكن الإسلام الذى دعا إليه محمد رسول الله ﷺ في مطلع القرن السابع الميلادى دينا جديدا، إنما كان تجديدا لدين الله الحق، الإله الواحد ذى الدين الواحد، ذلك بعد تعرض

---

[623] *نفس المرجع* وانظر كذلك *تفسير البغوي*، ج. 4 ، ص. 207.

[624] *تفسير الطبري*، ج. 15 ، ص. 538.

[625] عبارة الأديان السماوية مخالفة لمنطوق الآية التي تنص بوضوح على أن دين الله واحد وليس متعددا،وهو الذي يدين به جميع الأنبياء ،و الأسلم إذن أن نقول الشرائع السماوية أو الرسالات السماوية

لتشويه وانحراف ودخلت عليه أوهام وضلالات من صنع البشر.[626] وكلما انحرفت عن طريق التوحيد أرسل الله تعالى الأنبياء الرسل لتذكير بنى آدم مرة جديدة بعقيدة التوحيد. ومما يؤيد ذلك قصة الخلق فى القرآن الكريم، حيث يذكر الإنسان الأول وهو آدم ﷺ كان نبيا، وهو أول من سكن الأرض من البشر. [627]

الفصل الثالث: الضوابط الأساسية للتعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم

وقد نظرت بعض الديانات إلى أن الكون فيه المحسوس والمغيب، الإنسان فيه السمو الروحى والنزعة الجسدية، والحياة فيها الناحية المادية والناحية الروحية، وأن المحسوس يتعارض مع المغيب أن السمو الروحى لا يلتقى مع النزعة الجسدية، أن المادة منفصلة عن الروح. ولذلك فهاتان الناحيتان منفصلتان عندهم، لأن التعارض بينهما أساسي فى طبيعتهما، ولا يمكن امتزاجهما، وأن كل ترجيح لإحداهما فى الميزان فيه تخفيض لوزن الأخرى. ولهذا كان على مريد الآخرة أن يرجح الناحية الروحية. ومن هنا قامت فى المسيحية سلطتان: السلطة الروحية والسلطة الزمنية (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) وكان رجال السلطة الروحية هم رجالَ الدين وكهنتَه، وكانوا يحاولون أن تكون السلطة الزمنية بأيديهم، حتى يرجحوا عليها السلطة الروحية فى الحياة، ومن ثم نشأ النزاع بين

---

626 لواء أحمد عبد الوهاب، 1992، الإسلام والأديان الأخري نقاط الاتفاق والاختلاف، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامى، ص.11

627 مصطفى حلمى، 2004م-1424هـ، *الإسلام والأديان، دراسة مقارنة*، بيروت: دار الكتب العلمية، ط. 1. ص. 26 وانظر كذلك محمد عبد الله دراز، *الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان*، بيروت: دار القلم مطبعة الحرية، ص. 175

السلطة الزمنية والسلطة الروحية. وأخيرا تم جعل رجالِ الدين مستقلين بالسلطة الروحية، لا يتدخلون بالسلطة الزمنية، وقد فصل الدين عن الحياة لأنه كهنوتي، وهذا الفصل بين الدين والحياة، وهوأساس الحضارة الغربية، وهوالقيادة الفكرية التي يحملها الاستعمار الغربي للعالم ويدعوله، ويجعل عماد ثقافته، ويزعزع على أساسها عقيدة المسلمين بالإسلام، لأنه يقيس الإسلام بالمسيحية على طريقة القياس الشمولى. فكل من يحمل هذه الدعوة (فصل الدين عن الحياة) إنما هو تابع وموجَّه بتوجيه القيادة الفكرية الأجنبية، وعميل، بحسن نية أو بسوئها، من عملاء الاستعمار وهو جاهل بالإسلام أو معاد له.[628]

وأما الإسلام فيرى أن الأشياء التي يدركها الحسُّ هي أشياء مادية، والناحية الروحية هي كونها مخلوقة لخالق، والروح هي إدراك الإنسان صلتَه بالله، وعلى ذلك لا توجد ناحية روحي ومنفصلة عن الناحية الروحية، ولا توجد في الإنسان أشواق روحية ونزعات جسدية، بل الإنسان فيه حاجات عضوية، وغرائز لابد من إشباعها، ومن الغرائز إذا غريزة التدين التي هي الاحتياج إلى الخالق المدبر الناشئ عن العجز الطبيعي في تكوين الإنسان. وإشباع هذه الغرائز لا يسمى ناحية روحية ولا ناحية مادية، وإنما هو إشباع فقد. إلا أن هذه الحاجاتِ العضْويةَ والغرائزَ إذا أشبعت بنظام من عند الله بناء على ادراك الصلة بالله كانت مسيَّرةً بالروح، ولإن أُشبعت بدون نظام، أو بنظامٍ من عند غير الله كان اشباعا

---

[628] تقي الدين النبهاني، 1422هـ-2001م، *نظام الإسلام*، منشورات حزب التحرير، ص. 73

ماديا بحتا يؤدّى إلى شقاء الإنسان.

الإسلام عقيدة ونظم، أماالعقيدة فهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيرِهما وشرّهما من الله تعالى. وقد بَنَى الإسلام العقيدةَ على العقل فيما يدركه العقل، كالإيمان بالله ولنبوة محمدﷺ، وبالقرآن الكريم، بناها فى المغيَّبات، أي ما يمكن للعقل أن يدركه كيوم القيامة والملائكة والجنة والنار على التسليم، على أن يكون مصدرها ثابتا بالعقل وهوالقرآن الكريم والحديث النبوي المتواتر. وقد جعل الإسلام العقل مناطَ التكليف. أما النظم فهي الأحكام الشرعية التى تنظم شؤون الإنسان، وقد تَناولَ نظام الإسلام جميعَ هذه الشؤون، ولكنه تناولها بشكل عام، بمعانٍ عامةٍ، وترك التفصيلات تستنبط من هذه المعانى العامة حين إجراء التطبيقات. فقد جاء القرآن الكريم والحديث الشريف يتضمَّنان خطوطا عريضة، أي معانى عامةً لمعالجة شؤون الإنسان من حيث هو إنسانٌ، وترك للمجتهدين أن يستنبطوا من هذه المعانى العامة الأحكامَ الجزئيةَ، للمشاكل التى تحدث على مَرِّ العصور واختلاف الأمكنة.[629]

المصدر الحقيقى المنشئ للتشريع فى الدين الإسلامى، إنما هو إرادة الله ﷻ الموحى بها إلى رسوله ﷺ فى الكتاب والسنة. أما الكتاب: فهو القرآن الكريم الذى أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ بلفظه معناه، لبلغه للناس. وهوأساس الدين والتشريع. وأما السنة: فهي ما أثر

---

[629] نفس المرجع، ص. 75

عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مستندا إلى الإقرار الإلهى. فهى وحي أيضا. ولما كان البيان القولى هو الأغلب فيها، أطلق عليها أيضا اسم الحديث الشريف.

وهي فى مقام التشريع تعد مبنية للقرآن، توضح مجمله، وتفصّل أحكامه، وتبين كيفية تطبيقه واتباعه قال ﷻ: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[630]

إذا، فأصول الدين والشريعة منحصرة فى مصدرين أساسيين هما الكتاب والسنة، وهما وحي ألهي، قام عليهما اجتهاد العلماء فيما بعد. وقد تضمنا أصول الأحكام ومعاييرها فى كافة مناحى حياة الإنسان وحاجاته. لذا كانت الشريعة الإسلامية عامة شاملة تسد حاجة الناس فى كل زمان ومكان.[631] وإن لم نجد منهما يمكننا الأخذ من الرأي عن طريق النظر فى محتمل القرآن والسنة، وفى إلحاق ما لم ينص على حكمه بما ينص فى حكمه، وفى تطبيق القواعد الكلية المأخوذة من جزئيات التشريع القرآنى على الحوادث المعروضة، وذلك مثل قاعدة الأصل فى أشياء الإباحة وقاعدة حفظ المصالح ووقاعدة اليسر ورفع الحرج، وقاعدة إزالة الضرر، وقاعدة سد ذرائع الفساد، وقاعدة، وقاعدة الضرورات تبيح المحظورات، وقاعدة الضرورات تقدر بقدرها، وقاعدة دفع الضرر مقدم على جلب المصالح، وقاعدة ارتكاب أخف الضررين، والضرر لا يزال بالضرر، وتحمل الضرر الخاص لدفع العام، إلى

---

[630] *القرآن*، سورة النحل 16 : 44

[631] عبد الوهاب عبد السلام طويلة، 1410هـ- 1990م، *الكتب السماوية وشروط صحتها*، بيروت: مؤسسة علوم القرآنص. 11

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

آخرما عرف من القواعد العامة للتشريع، وأخذ فى الإسلام مكانه النصوص القطعية التى يرجع إليها جميع المجتهدين.

ومن هنا يتبين أن مصادر التشريع فى الإسلام ثلاثة: القرآن، والسنة، والرأي، وهي فى المصدرية على هذا الترتيب، فما وجد فى القرآن أخذ منه ولا يطلب له مصدر سواه، وما لم يوجد فيه بحث عنه فيما صحت روايته وثبت وروده عن الرسول ﷺ، فإذا وجد فيه أخذ منه، ولا يطلب له مصدر سواه، وإذا لم يوجد له مصدر من كتاب ولا من سنة صريحين، كان مصدره البحث والنظر من أهل العلم بالقرآن والسنة، وبروح التشريع وقواعده العامة، هم المعروفون باسم المجتهدين والمعروف بحثهم ونظرهم باسم الاجتهاد وقد تقررت فى الإسلام مصدرية الثلاثة للشريعة على هذا الترتيب من عهد النبي ﷺ إلى يوم الدين.

سيبحث الباحث ضوابط علاقة المسلمين الخارجية من تلك المصادر الثلاثة. لو كانت العلاقة الفردية ذات دور هام، وكذلك حياة المجتمع أو الأمة تحتاج إلى العلاقات الاجتماعية كمخلوق مدنى بالطبع ليتعارفوا ويفيد بعضهم غيرهم.

والمراد بالأمة كما سبق بيانها هي الناس الذين وصفهم الله بأنهم: كانوا أمة واحدة. ومعنى آخر الجماعة في كل زمان. وقول آخر، الأمة : فهي الجماعة، والأمة الطريقة والدين، يقال: فلان لا أمة له، أي لا دين له ولا نحلة، وقوله تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ[632] يريد أهل أمة، أي كنتم خير أهل دين. فالأمة هي الجماعة، بصفة الإطلاق، تتميز على غيرها من الجماعات، وفي العصور الإسلامية تميزت على غيرها بدينها، فصارت الأمة في نظر العربي المسلم جميع الناس الذين يعتنقون الإسلام.[633] تحت ظلال الإسلام لا فرق بين الجنيسات واللغات والألوان والقبائل، كل على سواء بينهم. وها هو ذا من بعض معانى الأمة فى قول تعالى أمة وسطا [634] فإيجاد العلاقة الخارجية بين المسلمين وغيرهم من معتنقي الديانات إيجادها فرديا كان أو مجتمعا شيئ ممكن. ولكن قبل أن يبحث الباحث عن العلاقة الخارجية عليه بحث العلاقة الداخلية أو العلاقة بين المسلمين مختصرا. وأشار القرآن باصطلاحه الأخوة وأكلمة بعضهم أولياء بعض،كما قال الله تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ[635] ومن حديث النبي الشريف، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".[636] وعَنْ أَبِى مُوسَى عَنِ النَّبِىِّ

---

[632] *القرآن*، سورة آل عمران 3 : 110

[633] علي بن نايف الشحود، *الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل*، المكتبة المشكاة الإسلامية، www.shamela.ws، ج. 9 ، ص 206،و *المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب*، ج. 1، ص. 25.

[634] *القرآن*، سورة البقرة 2 : 143، آل عمران 3 : 104 و 92، المؤمنون 23 : 53.

[635] *القرآن*، سورة التو بة 9 : 71

[636] أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، *الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم*، بيروت: دار الجيل و بيروت: دار الأفاق الجديدة، ج. 8 ، ص. 20 فى باب تراحم المسلمين. و أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(المتوفى : 241هـ)، 1419هـ ـ 1998 م، *مسند أحمد بن حنبل*، المحقق : السيد أبو المعاطي النوري، بيروت: عالم الكتب، ط، ج. 4 ، ص 270. و محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، 1414هـ – 1993م،صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط. 2، ج. 1 ، ص 468. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، 1344 هـ، *السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي*، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني، حيدر آباد الهند: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة، ط. 1، ج. 2 ، ص. 487.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا". وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.[637] أولئك يهتف بهم رسول الله ﷺ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ".[638] وينوط الإيمان فيهم بالحب حتى لا يفرق المرء بين نفسه وأخيه،: عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[639] صورة العلاقات بين المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم تكون أساسا ومبادئ فى تنفيذ علاقتهم الخارجية. ويود الباحث نقل الفكرة الأساسية الصادرة من النصوص القرآنية المتعلقة بعلاقة خارجية، لا من الآراء المختلفة الموجودة، وذلك ليكون البحث أصليا و غير مؤثرة أنه يوافق رأيا ويعارض آخر.

1.الفكرة الأساسية للعلاقات الخارجية

1.1يرى الإسلام الحياة وواقعتها رؤية شاملة، وهي وحدة لا تتجزأ فى أحكام الله (سننه)،

---

[637] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، 1407 – 1987، *الجامع الصحيح المختصر*، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، اليمامة – بيروت: دار ابن كثير ،، ط. 3. ج 2 / ص 332، باب تشبيك الأصابع، ج.1، ص.172 ، نصر المظلوم،ج.2، ص. 873، تعاون المؤمنين بعضهم، ج. 5، ص. 2243. و *صحيح مسلم* ، ج 4 ، ص. 1999، باب التراحم المؤمنين.و أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، 1420هـ، *سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي*، المحقق : مكتب تحقيق التراث، بيروت: دار المعرفة، ط. 5،ج. 5 ، ص. 83.و محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، *الجامع الصحيح سنن الترمذي*، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ج. 4 ، ص. 325، باب شفقة المسلم على المسلم.

[638] ، *صحيح البخاري* ، ج. 5 ، ص. 2253. باب الهجرة، *صحيح مسلم* ،ج. 4، ص. 1982، باب تحريم التحاسد والتباغض، و انظر سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، *سنن أبي داود*، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، ج. 2 ، ص. 695، باب فيمن يهجر. و *مالك بن أنس*، 1425هـ – 2004م، *الموطأ*، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط. 1،ج. 5 ، ص. 1333، باب ما جاء فى المهاجرة.

[639] *صحيح البخاري*، ج. 1، ص. 14، و *صحيح مسلم*، ج. 1 ، ص. 49، و أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، 1420هـ، *سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي*، بيروت: دار المعرفة، ط. 5، ج. 8، ص. 488.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فالعلاقات التى قام بها الناس لأجل المصالح بينهم. فى المجتمع تتشابك المصالح، وتتزاحم الدوافع ويكثر الشد والجذب، ويتكرر الأخذ والعطاء. وفى المجتمع يتبادل الأفراد، ويتعامل الجماعات، وتتفاعل القوي، وتتنافس المقدرات. ويحف بها جميعا ذلك السياج الضخم الذى يشمل جميع نشاطها، ويمثل جميع اتجاهاتها، ويؤثر فيها ويتأثر بها فى كل اتجاه. فالعلاقة الموجودة فى المجتمع بين الأفراد لا علاقة الصراع والخصومة. وحين يحكم الحياة منهج كالمنهج الإسلامى، ويأخذ نظام الإسلام الإجتماعى سبيله إلى التنفيذ العملى، ويصبح القانون الإسلامى نافذا كما أراد الله. يبدأ الإسلام بناء المجتمع فى ضمائر الأفراد ووجدانهم، فهناك فى أعماق الروح يغرس بذرة الحب، وينسم نسمة الرحمة والحب الإنسانى الخالص، والرحمة الإنسانية المبرأة. إنه يرد الناس إلى ذكرى نشأتهم الأولى من نفس واحدة، ويوقظ فى وجدانهم شعورالنسب والقربى، ويذكرهم أخوتهم فى الله وفى المنشأ والمصير. فإذا رقت جوانحهم بهذا المشاعر اللطيفة كانوا إلى السماحة أقرب، والى السلام أدنى، وهانت أسباب الخلاف والنزاع، وأمكن أن تفلح النظم والقوانين التى يسنها لتحقيق هذا السلام؛ وكان ذلك الوجدان بمثابة الضمانة الوثيقة للشرائع والتنظيمات، وسارت عجلة الحياة فى يسر و رفق وسماح. وهكذا تنتظم البشرية كلها فى نسب واحد، وفى إله واحد، وتختفى المنازع و الفوارق، لتبرز تلك الصلة الكبرى الوثيقة العميقة التى تشمل الناس جميعا على اختلاف الملل و النحل،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والأجناس والألوان و الأقوام.[640]

1.2 ويقرر الإسلام نوع العلاقات بين الناس، كما فى قول تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[641] معنى التعارف لا ينحصر إلى معرفة الاسم، ولا فقد أخوة و محبة، بل إنما التعارف حب مودة وصداقه و إحساس المشاعر إتجاه الصديق والصديق و كل يفيد الآخر. فالآية السابقة الكريمة تتبادر إلى الذهن أن التعارف بين الشعوب والقبائل هو مجرد معرفة الغير ولكن المعنى أعمق من ذلك حيث يشير بعض أهل العلم إلى أنه يدخل في التعارف المعاملة بالمعروف والإحسان بين الناس وتبادل الخبرات والتجارب والعلوم حتى بين المسلمين والمشركين ولا يعني هذا أن يتخلى المسلم عن ولائه ومحبته لأهل الإيمان، ومعاداة وبغض أهل الكفران، فالمعاملة الحسنة للمشرك المسالم، وتأليف قلبه، وتحسين صورة الدين الإسلامي في تصوره ومخيلته أمر مطلوب،كما قال العزيز الحكيم في التنزيل العزيز. والمقصود من هذا أن الله ﷻ خلقهم كذلك؛ لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم، ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن. ثم علل سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر، كقوله فى سورة الحجرات 49 الآية 13، أي : إن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن تلبس بها فهو المستحق؛ لأن يكون أكرم ممن لم يتلبس

---

[640] سيد قطب، 1413هـ-1993م، *السلام العالمى فى الإسلام*، القاهرة: دار الشروق، ، ط. 12، ص. 105-106

[641] *القرآن*، سورة الحجرات 49 : 13

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بها، وأشرف وأفضل، فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالأنساب، فإن ذلك لا يوجب كرماً، ولا يثبت شرفاً، ولا يقتضي فضلاً.[642] ولذلك قال تعالى فى كتابه الكريم: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ[643] وبهذا التعارف تطلب السلام فى العلاقات بين الناس، وبالسلام يمكن ايجاد التعامل والمشاركة بينهم، وشؤون التعارف تدعو كلا منهم افشاء الخير والمعروف بينهم.

1.3إن السلام مبدأ من المبادىء التي عمَق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، فأصبحت جزءا من كيانهم، وعقيدة من عقائدهم لقد صاح الإسلام منذ طلع فجره، وأشرق نوره، صيحته المدويه في آفاق الدنيا، يدعوا إلى السلام، ويضع الخطة الرشيدة التي تبلغ بالإنسانية إليه. إن الإسلام يحب الحياه، ويقدسها ويحبب الناس فيها وهو لذلك يحررهم من الخوف، ويرسم الطريقه المثلى لتعيش الإنسانيه متجهه إلى غايتها من الرقي والتقدم، وهي مظلله بظلال الأمن. ولفظ الإسلام-الذي هو عنوان هذا الدين-مأخوذ من مادة السلام، لأن السلام والإسلام، يلتقيان في توفير الطمأنينة، والأمن، والسكينة. ورب هذا الدين من أسمائه (السلام)، لأنه يؤمن الناس بما شرع من مبادئ، وبما رسم من خطط ومناهج. وحامل هذه الرسالة هو حامل راية السلام، لأنه يحمل إلى البشريه الهدى، والنور، والخير، والرشاد والرأفة. وهو يحدث عن نفسه فيقول:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ

---

[642] محمد بن علي الشوكاني،، فتح القدير، موقع التفاسيرhttp://www.altafsir.com ، ج. 7 ، ص. 20

[643] *القرآن*، سورة الزخرف 43 : 32

إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ".[644] ويحدث القرآن عن رسالته فيقول: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[645] ودعا الإسلام الناس إلى دار السلام. وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.[646] السلام هو المبدأ ووجه الانطلاق للحياة، بل هو الحياة نفسه، هوالمرجع والموعود. هو (السلام) من أسماء الله الحسنى، والله عزوجل خالق السلم والسلام، ويضمن ذلك للناس بما شرعه من مبادئ، وبما رسمه من خطط ومناهج، وبمن بعثهم من أنبياء وأوصيائهم عليهم السلام، وبما أنزله من كتب، فهو تعالى مصدر السلم والسلام، والخير والفضيلة. فإن السلم والسلام والرحمة جاء بها الإسلام للناس كافة. وكثرة تكرار لفظ السلام على هذا النحو، مع إحاطته بالجو الديني النفسي، من شأنه أن يوقظ الحواس جميعها، ويوجه الأفكار والأنظار إلى المبدأ السلمي العظيم. السلام تحية الإسلام، كما إن الإسلام جعل (السلام) شعاراً له واختاره تحية للمسلمين، حيث إن المسلم إذا التقى بمسلم قال: (سلام عليكم) أو ما أشبه ذلك من الصيغ المذكورة في باب السلام وأحكامه. وتحية الله للمؤمنين تحية سلام: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا[647] وتحية الملائكة للبشر في الآخرة سلام:

---

[644] عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، 1407، *سنن الدارمي*، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط. 1، ج. 1 ، ص. 21. و محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، 1411 – 1990، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط. 1 ، ج. 1 ، ص. 91، وقال حسين سليم أسد : إسناده صحيح ولكنه مرسل.

[645] *القرآن*، الأنبياء 21 : 107

[646] *القرآن*، سورة يونس 10 : 25

[647] *القرآن*، سورة الأحزاب، 33 : 44

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ[648]، وتحية المؤمنين بعضهم لبعض في الجنة هي سلام: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا، إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا[649] الصلاة تنتهي بالسلام، وفي آخر كل صلاة يذكر المصلي لفظ (السلام) ثلاث مرات، فتبدأ الصلاة بتكبيرة الإحرام وتنتهي بالسلام، حيث نقول: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وهو سلام على القائد الأعلى. كما نقول بعد ذلك: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وهو سلام على المجموعة الصالحة من العباد. و(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وهو سلام على جميع من ينطبق عليه الخطاب، وعلم ﷺ أتباعه دعاء السلام، كما روي عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام).[650] وحتى جوابهم رداً على الجاهلين هو السلام: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا[651] وتكرار لفظ السلام على النحو السابق، مع إحاطته بالجو الديني النفسي، من شأنه أن يوقظ الحواس جميعها، ويوجه الأفكار والأنظار إلى المبدأ السلمي العظيم لحياة الفرد أو المجتمع.

---

[648] *القرآن*، سورة الرعد 13 : 23 – 24

[649] [649] *القرآن*، سورة الواقعة 56: 25 – 26

[650] *صحيح مسلم*، ج. 1 ، ص. 414. باب استحباب الذكر بعد الصلاة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر –، ج. 1 ، ص. 298. باب ما يقال بعد التسليم،و قال الشيخ الألباني : صحيح ، *سنن الدارمي* ،ج 1 ، ص 358، باب القول بعد السلام.

[651] *القرآن*، سورة الفرقان 25 : 63

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1.4 أسَّس الإسلام علاقات المسلمين بغيرهم على التعارف والتعاون والعدل والعفو والرحمة وحفظ الحقوق والتفاهم والإحسان والبر، فهولا يجيز قتل النفس لمجرد أنها تدين بغير دين الإسلام، ولا يبيح للمسلمين قتال مخالفيهم فى الدين لمجرد مخالفتهم فى العقيدة، بل يأمر أتباعه بمعاملة مخالفيهم بالحسنى، ومبادلتهم المنافع، ودعوتهم بالتى هي أحسن، وعدم اكراههم على اعتناق الدين الإسلامى. وقد قرر الإسلام من قواعد وتشريعات لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرِهم، حيث أقر الرسول ﷺ أسس معاملة غير المسلمين. فغير المسلمين الذين لم يصرفوا المسلمين عن دينهم، و لم يبدؤهم بالعدوان حينئذ وجب أن يبروهم وأن يعاهدوهم ويوفوا لهم بعهدهم. فأساس العلاقة إذاً هوالبرّ وهوالمطلوب فى علاقة الإنسان مع والديه، وقد شرعه الله تعالى ليكون أيضا أسس العلاقة مع غير المسلمين غير المحاربين، لأنه خير تعبير عن رسالة الإسلام السمحة.

2. مكانة فكرة التعايش السلمي

دعا الإسلام إلى السلم فى كافة أحواله، لأن في السلام حياة وازدهار، وفي الحروب ممات ودمار. في السلام أمان واطمئنان، وفي الحروب اضطراب واضمحلال. في السلام سعادة ورخاء، وفي الحروب تعاسة وشقاء. في السلام تطور فكري وروحاني، وفي النزاع هبوط وتدنٍّ إنساني. في السلام حضارة وتقدم، وفي النزاع هدم وتقهقر. في السلام وحدة ومحبة ووئام، وفي النزاع فرقة و كره و خصام. في السلام تظهر الفضائل،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وفي النزاع تبرز الرذائل.

وإن الإسلام إذ يقرر السلم على أنه أصل من أصول العلاقات الإنسانية بين الدول لا يسمح للمؤمنين أن يتدخلوا فى شؤون الدول إلا لحماية الحريات العامة، وعندما يستغيث به المظلومون، أويعتدى على المعتقدين له، فإنه يتدخل حينئذ لمنع الفتنة فى الدين، فهو يحترم حق كل دولة فى الوجود، وحقها فى أن تكون سيدة نفسها وحقها فى الدفاع عن أراضيها وسيادتها، ولا فرق فى ذلك بين دولة راقية متحضرة، وأخرى مبتدية أوغير راقية. وإن تدخل فى شأن الثانية فالإرشاد والتوجيه، لاللتحكم والسيادة؛ فإن السيادة حق طبيعي تتمتع به كل الناس كما يتمتع به الآحاد على سواء.[652]

إن العالم كان يسير على قانون الغابة فى علاقات الدول والقبائل بعضها مع البعض، فكل دولة تبغى على الأخرى ولا مانع يمنعها إلا أن تكون ضعيفة لا تقوى على الاعتداء أو يكون ثمة ميثاق يحترم. ما بقيت القوتان متعادلتين، فإن أحست احداهما بضعف الأخرى انتهزتها فرصة سنحة وانقضت عليها لا ترقب فيها إلا ولا ذمة. ولعل هذا هو الأمر اليوم، فإن العرف الدولى القائم يسير على أنه لا يكون سلم ثابت بين دولة وأخرى إلا بميثاق عدم اعتداء، وإن الميثاق يبقى ما بقيت القوتان متعادلتين، ومهما تكن قوة المنظمات الدولية فإنها لم تغير هذه الحقيقة الثابتة، وغن المجاملة بين الأقوياء

---

[652] الإمام محمد أبو زهرة، 1410هـ-1990م، *العلاقات الدولية فى الإسلام*، دار الفكر العربي، القاهرة، ص. 50

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

فيها قد تجعلها تغضى العين عن ظلم الضعفاء من الدول، وإذا وجدت قوية تناصر ضعيفة تناصر ضعيفة للكيد للتى تنافسها فى القوة، وإذا كانت بعض المنظمات تجلس الضعيف بجوار القوى، فالكلمة العليا فيها للأقوياء.[653]

الإسلام جاء هاديا للعلم كله، فأرشد من عاصروا التنزيل، وأيضا النور لمن جاءوا بعده، فقرر أن الأصل فى العلاقة بين الدول كالأصل فى العلاقة بين الآحاد- هوالسلام بصريح القرآن الكريم وبفعل النبي ﷺ وعمله فى حروبه. فالأصل فى العلاقات الدولية فى الإسلام هو السلام، حتى يكون الاعتداء بالاعتداء على الدولة الإسلامية فعلا أو بفتنة المسلمين عن دينهم. فالحرب حينئذ تكون ضرورة أوجبها قانون الدفاع عن النفس وعن العقيدة و الحرية الدينية.[654]

3. آراء فقهية عن العلاقات الخارجية

بعد ذكر قواعد العلاقات الخارجية المتينة فى البحث السابق، يود الباحث تقديم أراء الفقهاء العالمين حول هذا الأمر. وأساس العلاقات الدولية في الإسلام (السلم)، والحرب أمر طارئ على البشرية، وهذا هو رأي جمهور الفقهاء ومنهم الثوري والأوزاعي وأبو

---

[653] *نفس المرجع*، ص. 50

[654] *نفس المرجع*، ص. 51، و انظر بدران أبو العينين بدران، *العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين*. ص. 14

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

حنيفة والشافعي، وأحمد بن حنبل.[655] فى هذا الأمر رأيان متناقضان كما يلى:

3.1 يرى بعض الفقهاء أن الأصل في العلاقات الدولية هو الحرب أي أن الإسلام ذو نزعة حربية باعتبار أن الجهاد مشروع؛ الحرب مشروعة وهي جهاد في سبيل الله، لنشر دعوة الإسلام، ودفع الظلم وإقامة الحق والعدل وحفظ التوازن وتمكين أرباب العقائد والعبادات من أداء عباداتهم والبقاء على عقيدة التوحيد.وفى هذا الرأي أن الجهاد له غاية وأن سنة الله في الكون درءُ الظلم ومنع الفساد ونشر العقيدة السمحة والفضيلة ولا يتم ذلك إلا بالجهاد.[656] واضحة في أن الجهاد والقتال مشروع لغاية هي دفع الفتنة ونشر الدين الحق وتمكين الحرية الدينية للآخرين وأننا لا نقاتل معتدين ولا ظالمين.[657] ولأنه طريق الدعوة إلى الإسلام، ما لم يطرأ ما يوجب السلم والأمان.

هنا آيات كثيرة تدل على الأمر لقتال هؤلاء الكافرين، منها سورة التوبة 9: 5 و29 و36. وحديث رسول الله ﷺ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَ يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا

---

[655] صبحي الصالح، *النظم الإسلامية*، نقلًا عن شرح السير الكبير، لمحمد بن سهل السرخي: ص 59، ومعنى المدر: الطين اللزج المتماسك، ويعنى بأهل المدر أي سكان البيوت المبنية خلاف البدو سكان الوبر (أي سكان الخيام المصنوعة من صوف الإبل ونحوها)؛ سماحة الدكتور عبد العزيز الخياط، المعاهدات والاتفاقات من العلاقات الدولية في أثناء السلم، *مجلة مجمع الفقه الإسلامي*، مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ص. 7 ، 1675، وانظر شمس الدين السرخى، *المبسوط*، بيروت-لبنان: دار المعرفة، ص. 2.

[656] *المرجع السابق*، عبد العزيز الخياط، *المعاهدات والاتفاقات من العلاقات الدولية في أثناء السلم*.

[657] ألشيخ محمود شلتوت،*القرآن والقتال*، ص، 30

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ.[658]

3.2 ويرى فقهاء آخرون أن الأصل في العلاقات الدولية هو السلم وأنه لا يُجنح للحرب إلا في حالة الضرورة والدفاع عن النفس وحماية الدولة والنظام، إذا اعتدى الكفار على المسلمين فحينئذٍ يصبح الجهاد فرض عين دفعًا للعدوان، وكذلك إذا وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية وحالوا دون نشرها وإقناع الناس، واعتبروا أن حالة السلم تجعل موضوع التعاون وتبادل المنافع والمصالح والتجارة مع الدول الأخرى قائمًا، واحتجوا بالنصوص من القرآن والسنة، ومعظمها يبين السبب الذي من أجله فرض القتال، إما لدفع ظلم، أو لحماية الدعوة وقطع الفتنة، لا سيما وأن الكفار في عهد رسول الله ﷺ مشركون وأهل كتاب ـــ أمعنوا في إيذاء المسلمين بألوان من العذاب، وقاطعوهم وأخرجوهم من ديارهم وصادروا ممتلكاتهم، وغايتهم إخماد الدعوة ومنع انتشارها وإقامة دولتها.[659] ولتأييد رأيهم، استدلوا بالآيات القرآنية سورة الأنفال 8 الآية 61 وسورة النساء الآية 75 و 90 وسورة البقرة الآية 190- 191 و 208. ويفهم من هذه الآيات جميعًا ما ذهب إليه أصحاب الرأي بأن السلم هو الأصل في العلاقات الدولية بأن آيات القتال منسجمة مع هذا الأصل، فقوله ﷻ: وَقَاتِلُوا

---

[658] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : 256هـ)، 1407 – 1987، *الجامع الصحيح*، حسب *ترقيم فتح الباري* ، القاهرة : دار الشعب، ط. 1، كتاب بدء الوحي، ج.1 ،ص. 13، وَ *صحيح مسلم* ، باب الأَمْرِ بقتال النَّاس حتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ج. 1، ص. 38

[659] عبد الوهاب خلاف، *السياسة الشرعية*، ص. 70

الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً متصل بقوله: كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً[660] فنحن نقاتلهم كما يقاتلوننا فإن كفوا عن قتالنا كافة، كففنا عن قتالهم بالمقابل، قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ[661] وهذا أمر بقتال أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر... إلخ فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاءوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيمانا صحيحا لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلوات الله عليه، لأن جميع الأنبياء بشروا به، وأمروا باتباعه، فلما جاء وكفروا به، وهو أشرف الرسل، عُلِم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء، وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم؛[662] وهذا لا يتنافى مع أصل السلم؛ لأن قتالهم هو قتال من أجل تحقيق السلم وتوحيد الناس وجعلهم مع المسلمين أمة واحدة، لقوله تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ[663] ومعناها في قوله: حتى يدفعوا الجزية أي

---

[660] *القرآن*، سورة التوبة 9 : 36

[661] *القرآن*، سورة التوبة 9 : 29

[662] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 -774 هـ]، 1420هـ - 1999 م ، *تفسير القرآن العظيم*، المحقق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. 2. ج. 4 ص. 132

[663] *القرآن*، سورة التوبة 9 : 29

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

مقابل الزكاة إذا لم يسلموا ويخضعوا لأحكام الإسلام،[664] وهذا ينسحب على بقية الآيات التي تأمر بالقتال، فالقتال لمنع الفتنة، والقتال لدعوة الإيمان، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحماية الدعوة لا يتنافى مع أصل السلم في العلاقات الدولية، فإذا أقروا بذلك كانوا مسلمين، وإلا كانوا أهل ذمة أو معاهدين، وهذا استقرار وسلام، والذمة بمعنى العهد والأمان فتشمل المواطنين الذين يقيمون مع المسلمين في سلام في بلاد المسلمين، وتشمل المستأمنين، وهم أصحاب الأمان المؤقت الذي يعطي للحربيين لكي يتمكنوا من الدخول إلى دار الإسلام لتجارة أو أي حاجة مشروعة، وذلك بشروط خاصة.[665] والآيات المطلقة في القتال تحمل على المقيِّدة له وهو القتال في حال الاعتداء أو إزالة العقبات في وجه دعوة الإسلام[666]كما يدل لذلك قوله تعالى فى سورة الأنفال الآية 60 – 61.

اتفاق جمهور العلماء على إحكام هذه الآية، فقد حكى ابن تيمية اتفاق العلماء على أن آية الإكراه ليست منسوخة ، ولا منصوصة وإنما النص عام فلا تكره أحدًا على الدين، والقتال لمن حاربنا [667]. يقول الإمام الرازي في تفسيره الكبير بعد أن ذكر أن الله تعالى بين دلائل التوحيد بيانًا شافيًا قاطعًا للمعذرة: إنه لم يبق بعد إيضاح

---

[664] *المرجع السابق*، عبد العزيز الخياط، *المعاهدات والاتفاقات من العلاقات الدولية في أثناء السلم*. ج. 7 ، ص. 1677

[665] *نفس المرجع*

[666] *المرجع السابق*، و وهبة الزحيلي، *العلاقات الدولية في الإسلام*، ص. 96

[667] *رسالة القتال* في مجموعة رسائل ابن تيمية: ص 123

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

هذه الدلائل عذر للكافر في الإقامة على كفره إلا أن يُقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء؛ إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان، ونظير هذا قوله تعالى: وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ[668] وقال في سورة أخرى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ[669] وقد كان رسول الله ﷺ إذا بعث بعثًا أو سرية قال لهم: " تألفوا الناس، وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل مدر ولا وبر، إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم"[670].

والذي يختاره الباحث هو أن الإسلام يجعل العلاقة الدولية بينه وبين الدول الأخرى وشعوبها هو السلم لكن على أساس أن يدعوهم إلى الإسلام، وعلى أساس أن لا يحولوا بين شعوبهم وبين رؤية الإسلام الحق مطبّقًا، فإذا حالوا بين شعوبهم وبين الإسلام، وعملوا على تشويه صورته وإيذاء دعاته، ومنعهم من الوصول إلى

---

668 *القرآن*، سورة الكهف: 18 : 29

669 *القرآن*، سورة يونس 10 : 99

670 نخبة من علماء المسلمين، 1407هـ، *مناظرة بين الإسلام والنصرانية*، الكويت: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط. 1 ، ج. 1، ص. 482، و أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي المتوفى 317 هـ، معجم الصحابة، المحقق : محمد الأمين بن محمد الجكني، الكويت: مكتبة دار البيان،ج. 4 ، ص. 201. رقم الحديث 1919، و علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى : 975هـ)،1981م، *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*، المحقق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط.5، ج.4 ،ص.437. الباب الثامن: في لواحق الجهاد من الإكمال، و سماحة الدكتور عبد العزيز الخياط، المعاهدات والاتفاقات من العلاقات الدولية في أثناء السلم، *مجلة مجمع الفقه الإسلامي*، مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي . ج. 7 ص. 1675)، ونقل كذلك محمد الغزالي هذا الحديث في كتابه، هذا ديننا، مصر: دار نهضة، ط. 1. ج.1، ص. 191.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الشعوب كان حض الإسلام على الجهاد والقتال في سبيل الله مثل ما أمرالله في الآيات والأحاديث الكثيرة، وهذا نص الآيتين الكريمتين: قال تعالى: فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا[671] ... فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا[672]

4. حول الحرب في الإسلام

الحرب هو القتال بين فئتين وجمعها حروب، ويقال قامت الحرب على ساق اشتد الأمر وصعب الخلاص،[673] وتدل كلمة الحرب على القتال بالمعنى المادى على نشوبها، وأحيانا على حالة الحرب بين جماعتين أو أكثر.[674] وهذا المعنى ظاهر في إضافة هذا الوصف للفظ الدار، فكل دار كفر تحارب دار الإسلام فهي دار حرب .[675] وقد قال بن المنير معنى الحرب خدعة أي الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر تكميل ذكر

---

[671] *القرآن*، سورة النساء: 4 : 90

[672] *القرآن*، سورة النساء: 4 : 91

[673] مجمع اللغة العربية، *المعجم الوسيط*، ج. 1، ص. 185

[674] دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 13، ص. 420

[675] سامي بن خالد الحمود، *الأعمال الفدائية صورها وأحكامها الفقهية* ، الرياض،الماجستير قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، غير منشور.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الواقدي أن أول ما قال النبي ﷺالحرب خدعة في غزوة الخندق.[676] وأصلى معنى الحرب لغة السلب أي الأخذ.[677]

وفى القرآن الكريم جاءت كلمة الحرب بمعنى القتال كما قاله تعالى فى سورة الأنفال 8 الآية 57، وانظر مادة كلمة حرب سورة التوبة 9 الآية 106، سورة البقرة 2 الآية 279، سورة المائدة 3 الآية 64 و سورة محمد 47 الآية 4، وقد يطلق القتال على الحرب بالمعنى السابق كما يظهر فى كثير من الآيات القرآنية منها سورة البقرة 2 الآية 190، سورة الحجرات 49 الآية 9، و سورة آل عمران 3 الآية 121. من كل تلك الآيات يكن أن يستنبط الباحث أن الحرب تأتى بمعنى القتال وهى إحدى وسائل الجهاد. والحرب بمعناها اللغوي القتال بين فريقين أو طائفتين كقبيلة وقبيلة أو دولة وأخري أو مجموعات من الزائف أو الدول. الحرب ظاهرة إنسانية قديمة قدم الإنسان على ظهر هذه البسيطة، فمنذ وجد الإنسان وهو يصارع ويحارب وقد ذكر الله للمسلمين قصة ابنى آدم، كما عين فى كتابه سورة المائدة 5 الآية 27 - 28. ويُفصِّل العلامة ابن خلدون هذه الحقيقة فى

---

[676] : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، 1379، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت: دار المعرفة، ج. 6، ص. 158.

و انظر محمد بن علي بن محمد الشوكاني، *نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار*، إدارة الطباعة المنيرية، ج. 8 ص. 38، و سعدي أبو جيب، تصوير 1993 م الطبعة الثانية 1408 هـ \ 1988 م، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دمشق – سورية: دار الفكر، ج. 1 ، ص. 113.

[677] أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، *حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي (المسمّاة) عناية القاضى وكفاية الرّاضى على تفسير البيضاوي*، بيروت: دار صادر، ج. 3 ، ص. 237. وانظر مادة كلمة حرب فى *القرآن* سورة التوبة 9 : 106، سورة البقرة 2 : 279، سورة المائدة 3 : 64.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

مقدمته فيقول: اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبيته، فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان؛ إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع، كانت الحرب وهو أمر طبيعى فى البشر، إما غيرة ومنافسة وإما عدوان وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعى فى تمهيده [678] إن الحرب والقتال سنة كونية و لم نر فى تاريخ الأمم أمة خلت من حروب وقتال سوت فى الأمم جميعاً، ورأينا من استعراض الكتب المقدسة- التوراة والإنجيل-أنه سنة شرعية لم تخل شريعة من الشرائع السماوية السابقة على الإسلام من تقريره والقيام به كما مر

الحرب عند العرب قبل الإسلام سجلت كتب التاريخ والأدب العربى ما اشتهر وعرف بأيام العرب، وهى عبارة عن مجموعة من الملاحم القتالية التى نشبت بين العرب قبل مبعث النبى ﷺ.[679] ولما جاء محمد ﷺ بالإسلام الذى شرع فيه الجهاد لتقرير الحق العدل وهو يمدح به الإسلام. لتميزه بحرب أخلاقية طبقت فى واقع حروب المسلمين فى كل عصر وهذا ما يبحثه الباحث إن شاء الله فى هذا البحث حول و أسباب الحرب، أهدافها في الإسلام، و قواعد أخلاقية في الحرب.

---

[678] أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلى التونيسى القاهري المالكى الشهير بابن خلدون732-808هـ، *تاريخ ابن خلدون*، *عمان*: بيت الأفكار الدولية، ج. 1، ص. 226 ، فصل فى الحروب ومذاهب الأمم فى ترتيبها.

[679] علي بن نايف الشحود، *المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام* - (1 / 280)

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

4.1 الحرب قبل الإسلام

كانت الحرب قبل مجيء الإسلام – عند أهل الجاهلية – بغير نظام ولا هدف وكانوا يعدون البطش والعدوان على الآخرين مفخرة من مفخرهم، ونقض العهود وخفر الذمم أمارة على قوتهم وعزهم، وكانت الحرب تنشب بينهم للصراع على المرعى أو الماء أو طلب الثأر أو الإعتداء على الجار وحب السيادة والمنافسة.[680] وأسباب أخرى للحروب قبل الإسلام كما كتب الدكتورة محمد خير هيكل فى رسالته الدكتوراه عن الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية:[681] 1). الحاجة الضرورية المعاشية، 2). الطمع والاستكثار، 3). الردع والأرهاب، وذلك حين يشغل قوم الحرب على الآخرين، لمجرد اثبات القوة، وردع الخصوم عن التفكير فى الاعتداء عليهم.4). الثأر والانتقام، 5). نجدة المستغيث المظلوم، 6). غسل إهانة الضيف بالدم، 7). الغيرة على الأعراض، 8). الحصول على الإماء للمباهاة، واذلال الآخرين، 9). فرض السيطرة على الآخرين بالقوة، 10). بعض المفاهيم الجاهلية المحرضة على القتال، 11). الحصول على الفوائد المادية، واليد العاملة الرخيصة، بضرب الرق على المغلوبين، 12). الاختلاف فى الدين لمجرد التعصب أو للدعوة إلى الحق، 13). الصراع على السلطة، 14). الصراع على البلاد الهامة، 15). قمع الثورات داخل البلاد، وفى الولابات المتطرفة، 16). السيطرة على العالم، 17). اختلاف

---

[680] عبد الرحمن بن عمر المدخلى، *المحور الخامس أخلاق الحرب الإسلامية فى ضوء القرآن الكريم*، جائزة الأمير سلطان الدولية فى حفظ القرآن للعسكريين. ص. 343

[681] محمد خير هيكل، *الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية*، رسالة الدكتراه عن الجهاد فى الصدر الإسلام والفقه الإسلامى والعصر الحديث. دمشق: دار البيارق، المجلد الأول، ص. 14 – 29

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

طريقة العيش فى الحياة، 18). ايجاد الوحدة فى الشعب والدولة، والقضاء على عوامل التجزئة، 19). تحرير البلاد من الاحتلال الأجنبي، 20). الطمع فى وراثة الدول، 21). أعادة التوازن مع الخصوم، 22). حماية المصالح الخارجية للبلاد، 23). نقض المعاهدات بين الدول، 24). الإكراه على الدخول فى الأحلاف، 25). توريط الدول المعاهدة بما يضطرها لنقد المعاهدة، واتخاذ ذلك حجة لإعلان الحرب عليها، 26). الخوف من قوة الخصم فى المستقبل، وضربه قبل أن يقوي (الحرب الوقائية)،27). القضاء على الحركات الانفصالية، ومغتصبى السلطة فى أطرف البلاد، 28). تطهير البلاد من عناصر الشغب والفساد، أو ومن ذوي الطمع فى السلطة، 29). الحرب الوكالة. و هكذا، كانت الحرب فى إشعال دائم لدي الأمم قبل مجيء الإسلام وهم ذو رغبة جامحة فيها، ويستشرفون للدماء مثلما يرغب الإسلام فى الأمن والسلام، وكانت معظم تلك الحروب تنشب لأسباب تافهة وخلافات قبلية يسيرة، فينشب الخصام وتندلع الحروب وتتطاحن القبائل، بل قد تستمر لعدة سنوات، يشب فيها الصغير و يهرم عليه الكبير. وكانت الحرب فى الجاهلية – لعدم وجود نظام أو حاكم – يهجم فيها القوي على الضعيف، والغني على الفقير، وذا النسب والحسب على من لا قبيلة له ولا عشيرة، فيهرق دمه، ويحتاج ماله، ويسبى ذراريه. وكانت أخلاق الحرب فى الجاهلية مفقودة تماما، ومن خلال كتب التاريخ يتضح أن الحرب كانت تقوم عندهم على الفخر والحمية، وقطع المسافات البعيدة للإعتداء – كما حصل فى بدر – والتمثيل بالقتلى

بصورة شنيعة – كما حصل فى أحد-والأشر و البطر و شرب الخمور وضرب القيان- كما حصل فى الخندق – ونقض العهود والمواثيق – كما حصل بعد الحديبية-[682] وقد نصر الله دينه وأعلى كلمته (انظر سورة الأحزاب 33 الآية 25): من أخلاقهم أنهم كانوا يستحلون القتال فى الأشهر الحرم، ويجعلون بدله وقتا آخر من السنة كما بين الله فى كتابه سورة التوبة 09 الآية 37

وأما الحروب فى الإسلام ليست دينية أي يميلها التعصب الدينى ضد أتباع الديانات الأخري، فالإسلام دين التسامح الذى يقر بوجود الأمم والشعوب والديانات الأخرى، ولا يريد إبادة المخالفين فى الدين، ولا يجيز الاكراه على الدين أو الاعتقاد، ويتعايش المسلمون مع غيرهم على صعيد راسخ من السلم والآمان، وحرية ممارسة الشعائر الدينية لغير المسلمين،[683] و نقل الأستاذ وهبة زهيلى قول ابن تيمية: لا نكره أحدا على الدين، والقتال لمن حاربنا، فإن أسلم عصم ماله ودمه، وإذا لم يكن من أهل القتال لا تقتله، ولا يقدر أحد أن ينقل أن رسول الله ﷺ أكره أحدا على الإسلام، لا ممتنعا ولا مقدورا عليه، ولا فائدة فى إسلام مثل هذا، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الإسلام.[684] وليست الحروب فى الإسلام بقصد التسلط على الأمم والشعوب الأخرى، لأن ذلك ظلم،

---

[682] المرجع السابق، عبد الرحمن بن عمر المدخلى، *المحور الخامس أخلاق الحرب الإسلامية فى ضوء القرآن الكريم*، ص. 343

[683] *انظر* سورة البقرة 2 : 256 و سورة الحجرات 39 : 13

[684] وهبة زحيلى، 1420هـ-2000م، *أحكام الحرب فى الإسلام وخصائص الإنسانية*، دمشق: دار المكتبي، ط. 1، ص. 7

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والظلم حرام ممنوع فى جميع الديانات. وليست الحروب فى الإسلام أيضا فى شريعة الإسلام حروبا استعمارية أو اقتصادية لسلب الشعوب أموالهم، ونهب خيراتهم وثرواتهم، أولفتح الأسواق العالمية أمام المنتجات والصادرات، أو لنزعة عنصرية تعتمد على الشعور بأن شعبا ما هو أفضل الشعوب العالمية.[685]

وقال الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز لبعض ولاته: إن الله بعث محمدا بالحق هاديا، ولم يبعثه جابيا. وقال ربعى بن عامر مبعوث سعد بن أبي وقاص إلى الفرس لرستم قائد الفرس قبيل موقعة القادسية: إنا لم نأتكم لطلب الدنيا، والله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم[686]

4.1.1 مشروعية الحروب فى الإسلام

الحرب التى كانت فى الإسلام ليست للحمل على اعتقاد معين، فإن الأصل فى العلاقة بين المسلمين و غيرهم هي السلم حتى يقع اعتداء، فإن كان الإعتداء فإن الحرب تكون أمرا لابد منه، ردا للشر بمثله، ولتحمى الفضيلة نفسها من الرذيلة.[687] وإنما الحرب مشروعة فى الإسلام بقصد حمابة نشر الدعوة الإسلامية، وصون الدعاة إلى دين الإسلام دين التوحيد لله، والحق والعدل، والفضيلة والقيم السامية العليا التى تقيم المجتمع الفاضل، وتصح أوضاع

---

[685] *نفس المرجع*. ص. 8

[686] *نفس المرجع*. ص. 8

[687] محمد أبو زهرة، 1429هـ-2008م، *نظرية الحرب فى الإسلام*، القاهرة: جمهورية مصر العربية وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، العدد 160. ط. 2. ص.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الناس وأنظمة الحياة العامة، فهي ضرورة لم تشرع إلا اضطرارا، لدفع العدوان عن المسلمين وديارهم وأموالهم، ولمحاربة الظلم ونصرة المظلومين، أوحال التأهب للقتال، ولمنع الاعتداء على الدعاة، وكفالة حرية العقيدة، ومنع الفتنة فى الدين، والتمكن من تبليغ دين الله القائم على نبذ الوثنية والشرك الذى يحتضن عادة ألوان من الخرافات، ويمس كرامة الإنسان، ويهدرحرمته ووجوده، يصادم عقله وفكره، ويجعله فريسة الأوهام، ويمنعه التقدم والتحضر والمدنية، لاتخاذ إله آخر مع الله تعالى. وذلك كله رحمة بمجموع الأمة أن تفسد، والإسلام: هو الرحمة العامة للعالمين، والرحمة تقتضى إقامة العدل بين الناس، والعدل يقضى بمحاربة الباطل، وقمع الظلم، وتمكين الناس من معرفة النظام الأصلح للبشرية فى الدنيا و الآخرة. ولا شك بأن الضرورة تقدر بقدرها، فلا يصح أن تكون وسيلة للتمادى بالباطل، وإلحاق الظلم بالآخرين، واستغلال الفرص للتدمير والتخريب، وإرواء نزعة الاستعلاء والاستبداد، والتسلط على مخلوقات الله تعالى.[688] وإن الفضيلة لابد أن تكون لها شوكة تمنع طغيان الرذيلة؛ ولذلك أباحت الأديان السماوية القتال دفاعا عن النفس، وعن الفضيلة، وعن العبادة، وعن الرسالة الإلهية.[689] ويمكن تفصيل سببي الحرب مع غير المسلمين كما يلي:

1). جهاد الدفع وهو الذي يكون من أجل رد الظلم والعدوان، فالمسلم لا يرضى الضيم ولا يقبل الهوان، ولا يقف مكتوف الأيادي حين تنتهك حرماته وتستباح أعراضه أو تهان عقيدته كما بينه الله فى كتابه فى سورة الحج 22 الآية 39 – 40، و لم يجعل الإسلام

---

[688] *المرجع السابق*، وهبة زحيلى، 1420هـ–2000م، *أحكام الحرب فى الإسلام*، ص. 8 – 9

[689] *المرجع السابق*، محمد أبو زهرة، 1429هـ–2008م، *نظرية الحرب فى الإسلام*، ص. 15 -16

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

رد الظلم والعدوان قاصر على النفس فحسب بل الواجب على المسلمين أن ينتصروا لإخوانهم في أي بقعة من المعمورة إن وقع الظلم عليهم ما دام أنهم غير قادرين على دفعه عن أنفسهم كما بين القرآن فى سورة النساء 4 الآية 75. وقد شهد التاريخ الإسلامي صور مشرقة من تناصر المسلمين في ما بينهم، فلقد سار النبي ﷺ إلى بني قينقاع بجيشه انتصار لشرف مسلمة كشف اليهود على حين غفلة منها شيئاً مما يجب ستره، فقام مسلم كان يرى هذا المشهد بقتل من فعل بها ذلك، فقتل اليهود المسلم، فأتاهم النبي ﷺ بجيشه فحاصرهم حتى استسلموا وطردهم من المدينة إلى الشام.

2). جهاد الطلب: وهو الحرب التي يشنها المسلمون لنشر الدين والعقيدة الإسلامية ورفع راية الحق عالية خفاقة، والمسلمون لا يجعلون هذا الطريق هو الأوحد أو الأول لنشر دينهم، بل لابد من الدعوة أولاً بالحجة والبرهان، فمن كانت عنده شبهة أو حجة تدحض العقيدة الإسلامية فالإسلام يحضه على تقديمها، نادى القرآن على ذلك فى سورة الأنعام 6 الآية 148 و سورة البقرة (2) الآية 111، فمن ليس عنده إلا الجحود والعناد وأبي منطق العقل والحجة والبرهان، فليس له أن يفرض الباطل –الذي عجز عن الدفاع عنه وتبين له فساده– نظاماً يُحتكم إليه ويُدان به.

فلم يرفع المسلمون السيف في وجه صاحب حجة أو طالب برهان بل لم يبدؤوا يوماً بغير الحجة والبرهان، فنبينا ﷺ لما أرسل علياً لفتح حصون خيبر، فَقَالَ عَلَيٌّ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ ﷺ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ[690] أمرُ النبي ﷺ واضحٌ بيِّنٌ لعلي رضي الله عنه بأن لا يبدء بالقتال حتى يدعوهم بالحجة والبرهان، وهكذا انتشر الإسلام وعم المعمورة، فهو دين الحجج ومن أكبر الأدلة على ذلك ما نشاهده في عصرنا الحاضر، فالمسلمون يمرون هذا الزمان بفترة ضعف، وعدوهم باعتبار القوة المادية يفوقهم بمراحل عديدة، ومع ذلك تشير تقارير الأمم المتحدة والمنظمات الدولية بأن أكثر دين يدخله الناس على نطاق العالم هو الإسلام، وكفي بذلك حجة ظاهرة على من يدعي انتشار الإسلام بالسيف، فالسيف في الإسلام للمعاند الذي يريد أن يحول بين الناس والحق، ويمنع النور أن يصل إلى القلوب المظلمة.

4.1.2 أداب الحرب فى الإسلام

للجهاد والقتال دوافع تتمثل فى الإيمان العميق بالله ورسالته، ثم مطلب عاجل هو إعلاء كلمة الله والتمكين لدينه ودولته وتطبيق منهجه، وله غاية بعيدة هي نيل مرضاة الله وجنته

---

[690] عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، 1411هـ/1990م، *التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين* ، تحقيق:بشير محمد عيون، دمشق: الجمهورية العربية السورية، الطبعة الأولى، ج. *1* ، ص. *78*. و انظر كذلك الحسين بن مسعود البغوي، 1403هـ - 1983م، *شرح السنة ــ للإمام البغوى متنا وشرحا*، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، دمشق ــ بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ج.14 ، ص. 112، و زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : 1031هـ، 1415 ه - 1994 م، *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى ج. 6 ص. 465.و حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : 1377هـ)، 1410 هـ - 1990 م ، *معارج القبول بشرح سلم الوصول* ، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، الدمام: دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ج.3، ص. 1183.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وما أعده للمجاهدين. ونذكّر أن أصل العلاقات الإسلامية السلام، وأما الجهاد والقتال يكون لرد الظلم والعدوان أو ردع الفتنة والدينية.[691] فلذلك كانت الحرب فى الإسلام ذا آداب خاصة وهي:

1). إعلان الحرب موكل بإمام المسلمين بل يعد من أخص وظائف رئيس الدولة لمسؤوليته عن حماية بلاده ومجتمعة من ويلات الحروب والتصدى لكل عدو بعد اسطلاع آراء أهل الخبرة والمشورة فى إطار تعليمات الإسلام كما قال تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ[692] والمراد من الأمر فى الآية أمر الحرب ونحوها من أمور الدنيا التى يدركها الناس من طريق التجارب والممارسة، وعلى الرعية طاعته فيما أمر لقوله الرسول ﷺ: وعلى الإمام دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم، لقول الرسولﷺ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ.[693] وقد أوجب كثير من فقهاء المسلمين تكرار دعوة من رفض الإسلام أو دفع الجزية لمدة ثلاثة أيام، ولاتشن الحرب إلا فى الرابع ما لم يعاجلوهم بالقتال. فإن سارع العدو بالقتال فيجب مناجزته فيه ولا تجب دعوته مطلقا. وقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قائلا: إنى كتبت إليك أن تدعو الناس.

---

[691] نادية حسنى صقر، 1410ه\1990م، *فلسفة الحرب فى الإسلام*، القاهرة: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص. 4

[692] *القرآن*، سورة آل عمران 3 : 159

[693] *صحيح البخاري* ــ حسب ترقيم فتح الباري، ج. 4، ص. 73.

2). أخلاق المجاهد فى الحرب كما ورد فى قوله تعالى سورة الأنفال 8 الآية 45 - 46 وبين تعالى علة النصر وعلة الهزيمة والفرار فى سورة محمد 47 الآية 7 وأما الفرار فعلته المعاصى بين تعالى فى سورة آل عمران 3 الآية 155، أي بشؤون ذنوبهم، وينبغى للمجاهد الاستعانة بالله تعالى والثقة بنصره وكثرة الذكر، والطاعة القلبية العميقة للقيادة المسلمة، الصبر والمثابرة، وعدم تمنى لقاء العدو، والدعاء بالنصر والتأييد من الله، تلك هى مفاتح النصر وطريقه إن شاء الله.[694]

3). معاملة المحاربين من الأعداء على مبادئ انسانية، إن الحرب المشروعة لها غاية نبيلة تتمثل فى نشر الإسلام وإبلاغه للناس كافة ثم هم بعد ذلك أحرار فى قبوله أو رفضه ولكن عندما يقف فى وجه هذه الغاية معاند أوظلم فإنه يقاتل كما بين الله تعالى فى سورة البقرة 2 الآية 193 و سورة النساء 4 الآية 75. كان النبي ﷺ إذا أمَّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: وقال اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث إلى الإسلام فإن دخلوا في الإسلام فاقبل منهم وكف عنهم وإلى الهجرة فإن دخلوا في الهجرة فاقبل منهم وكف عنهم وإن اختاروا الإسلام وأبوا أن يتحولوا من ديارهم إلى دار الهجرة كانوا كأعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين وليس لهم من

---

[694] على بن محمد بن عبد الله الشهري، *أخلاق الحرب الإسلامية فى ضوء القرآن الكريم*، جازان: جائزة الأمير سلطان الدولية فى حفظ القرآن للعسكريين. ص. 393-394

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الفيء والغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا في سبيل الله فإن أبوا الإسلام فادعهم إلى إعطاء الجزية واقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم فإذا حاصرت أهل حصن فإن أرادوك على أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ولكن على حكمكم ثم اقضوا فيهم بعد ما شئتم فإنكم لا تدرون تصيبون حكم الله أم لا وإن أرادوك أن تنزلهم على ذمة الله وذمة رسوله ﷺ فلا تنزلهم ولكن ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم أهون عليكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ﷺ.[695]

4). معاملة الفئات غير المقاتلة أوقت الحرب على قدر المثل كما ورد فى سورة البقرة 2 : 190. وقد قيل: قاتلوا الذين يقوون على قتالكم من المحاربين وهم الرجال البالغين الأصحاء دون غيرهم من الشيوخ والصبيان والنساء إلا أن يكن محاربات، فإن قاتلتموهم فقد اعتديتم والله لا يحب المتجاوزين ما حد لهم. وأما الذين يناصبونكم القتال أويتوقع منهم ذلك فاقتلوهم ولكن دون تمثيل عند القدرة ولا إسراف عندالظهور عليهم وبلا تعذيب أو فساد.[696] لا تقاتل من لا يقاتلك، يعني: النساء والصبيان والرُّهبان.[697] وثبت فى رواية عن سهل بن سعد : أنه سمع رسول الله ﷺ

---

[695] أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، 1411 – 1991، *سنن النسائي الكبرى*، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ج. 5، ص. 172 وغيره كثير.

[696] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700 -774 هـ)، 1420هـ - 1999 م ، *تفسير القرآن العظيم*، المحقق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (الطبعة الثانية، ج. 1 ، ص. 524

[697] *جامع البيان*، تفسير الطبري، ج.3 ص. 563

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يقول: لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه قال: فبات الناس يدوكون لذلك ويرون أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال رسول الله ﷺ: أين علي بن أبي طالب ؟ قالوا : يا رسول الله هو يشتكي عينيه فأمر به فدعي فبصق في عينيه ودعا له قبرأ مكانه حتى كأن لم يكن به شيء فأعطاه الراية فقال: يا رسول الله أنقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال رسول الله ﷺ: على رسلك إذا نزلت بساحتهم فادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فيه من الحق فوالله لأن يهدي الله بهداك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم.[698] وكان النبي ﷺ يوصي جنده بتأليف القلوب، لا بإتلاف النفوس، فهو يقول: تألفوا الناس، وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل مدر أو وبر أن تأتوني بهم مسلمين، أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم.[699] وكان النبي ﷺ يوصي جيشه المحارب بألا يقوم بإتلاف زرع أو قطع شجر، أوقتل الضعاف من الذرية والنساء والرجال الذين ليس لهم رأي في الحرب، ولم يشتركوا فيها من قريب أوبعيد، ومن ذلك قوله: سيروا بسم الله، في سبيل الله، وقاتلوا أعداء الله، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا. ويقول عليه الصلاة والسلام لخالد بن الوليد رضي الله عنه : لا تقتل ذرية ولا عسيفًا : أي عاملًا.وكان النبي ﷺ يشدد في المنع من

---

[698] أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، 1404 – 1984، *مسند أبي يعلى*، تحقيق : حسين سليم أسد، دمشق : : دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ،ج. 13 ، ص. 449. قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح

[699] نخبة من علماء المسلمين، 1407هـ، *مناظرة بين الإسلام والنصرانية*، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ج. 1، ص. 483.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

قتل الأطفال والنساء والشيوخ الذين لا يحاربون ، وليس لهم رأي في الحرب.[700] هذا الحديث يوضح وجهة النظر الإسلامية فى الحرب، فرسول الله ﷺ يؤ ثر اعتناق القوم للإسلام، ويوصى بدعوتهم إلى الله والتأنى معهم قبل إعلان الحرب عليهم.

5). النهي عن الغدر. نهى النبي ﷺ عن الغدر. فالغرض مرفوض فى السلام ومكروه كذلك فى الحرب فهو بغيض كل البغض للمقاتل المسلم لأنه يقاتل فى الله لغرض من أسمى الأغراض. المقاتل المسلم وفى لدينه ولربه ولا يمكن أن يكون غادرا. وأشار ذلك القرآن فى سورة الأنفال 8 الآية 58 و سورة النحل 16 الآية 91. وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ-قَالَ أَحَدُهُمَا يُنْصَبُ وَقَالَ الآخَرُ-يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ.[701]وعن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: كنا عند النبي ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى قال: خياركم الموفون المطيبون إن الله يحب الخفي التقي.[702]مصادر التاريخ تؤكد هذه الحقيقة فقد التزم النبي والخلفاء بالوفاء بكل التزام ووفوا بعهدهم، وكل مجاهد حق إنما يلتزم بالوفاء ويتجنب الخيانة.

6). حفظ البيئة و المعابد. فى أول خلافة أبي بكر رضي الله عنه خرج ليشيع بعث أسامة

---

[700] *نفس المرجع*

[701] *صحيح البخاري* — حسب ترقيم فتح الباري – ج. 4 ص. 127. باب إثم الغادر للبر والفاجر. صحيح مسلم ، ج. 5، ص. 141. باب تحريم الغدرِ.

[702] *مسند أبي يعلى*، ج. 2 ، ص. 318. قال حسين سليم أسد محقق هذا الكتاب : صدقة بن الربيع وثقه ابن حبان والهيثمي وباقي رجاله ثقات

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الذى كان النبي ﷺ قد أعده قبيل وفاته، قال خليفة رسول الله وأكثر أصحابه قربا منه وفهما له، قال أبو بكر الصديق فى توجيهه للجيش: يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى: لا تخونوا ولاتغلوا ولاتغدروا، ولاتمثلوا، ولاتقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.[703] ما جاء بالكتاب والسنة و قول الخلفاء فيه روح الإسلام الذى نهى عن قطع الشجر بأناعه و النخيل، فالإسلام يبنى ولا يهدم، يعمر ولا يخرب. لا يسمح الإسلام بهدم أو تخريف إلا أن تكون ضرورة حربية قصوى كأن يستتر الأعداء بهذا البناء أو بهذا الشجر و يتخذوه كمينا لازمة ولا مناص منها. وذلك لأن الغرض من الحرب هو دفع أذى الحاكم الظالم لا إيذاء الرعية.

7). معاملة الأسير فى الإسلام: جرت عادة الدول فى العصور القديمة على قتل كل من يقع تحت يدها من الأسرى أو تقوم بتشويه أعضائه كقطع أطرافه، أو سمل الأعين ونحو ذلك. وفى شريعة اليهود على ما ورد فى التلمود كانت تقضى بأن يقتل الأسرى جميعا حتى النساء والأظفال والحيوانات وعلى حد العبارة 22وَلكِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْرُدُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكَ قَلِيلاً قَلِيلاً. لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفْنِيَهُمْ سَرِيعًا، لِئَلاَّ تَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. 23وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ وَيُوقِعُ بِهِمِ اضْطِرَابًا عَظِيمًا حَتَّى يَفْنَوْا.

---

[703] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى : 310 هـ، 1407هـ، تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،ج. 2 ، ص. 246

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

24وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ، فَتَمْحُو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ.[704] فالكل طعمة للسلاح و الحديد والنار فالحرب مهلكة للبشر سواء المحارب أم غيره من الضعفة. ثم فى العصور المتأخرة بدأ الاتجاه يميل إلى الانتفاع بجهد الأسرى فبدلا من قتلهم جوزوا استرقاقهم، فأصل مشروعية الرق (إنما يرجع للمبدأ فى الحروب القديمة الذى يخول المنتصر الحق فى تملُّك كل ما تقع عليه يده لا فرق فى ذلك بين شخص عدوه المهزوم أوماله. ثم تطور وضع الأسير بعد ذلك شيئا فشيئا فى العصور الحديثة نسبيا بحيث أصبح بالإمكان المحافظة على الأسير وفداؤه بمال أو غيره وتخضع تلك القواعد إلى القوانين الداخلية للدول ثم جرى الاتفاق حولها بين مجموعة من الدول.[705]

وأمافى الشريعة الإسلامية وفى القرن الأول الهجرى بل فى العشرة الأولى منه كانت قد ترسخت أحكام الأسرى فى القرآن الكريم، وتم تبيان ذلك بالسنة النبوية عملا وقولا، ففى القرآن جاء قوله تعالى فى سورة محمد 47 الآية 4 وسورة الأحزاب 33 من الآية 26 –27، وأيضا فى سورة سورة الأنفال 8 الآية 70. وفى السنة الشريفة أن الرسول كان له أسرى فى حروبه، مثل بدر، ودومة الجندل، بل وكان أحد الأسرى عمه العباس بن عبد المطلب. ويعامل الإسلام الأسير كإنسان على مبادئ إنسانية كما سيبين الباحث فيما يلى: 1).

---

[704] *العهد القديم*، سفر التثنية 7 : 22 – 25

[705] ضو مفتاح غمق، *نظرية الحرب فى الإسلام وأثرها فى القانون الدولى العام*، ص. 351

الإطعام: يمدح القرآن الكريم لمن "يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا"[706]قال القرطوبي: ويكون إطعام الأسير المشرك قربة إلى الله تعالى، غير أنه من صدقة التطوع، فأما المفروضة فلا.[707] ولأن الأسير منقطع عن ماله ومقيد لا يسعى فيجب إطعامه، ولذا قال رسول الله ﷺ لمن سأله من الأسرى عن الطعام والشراب قال نعم هذه حاجتك وكان الأسير هو ثمامة بن آثال.[708] وقال الرسول ﷺ حين أقبل بالأسارى، فرقهم في أصحابه، وقال: استوصوا بالأسارى خيرا[709]. 2). الكساء من نوع الضرورة للإنسان فلا يترك الأسير بدون كساء يحفظه من حر القيظ وشدة البرد. فقد روي فى غزوة بدر أنه أتى بأسارى وأتي بالعباس و لم يكن عليه ثوب فنظر النبي له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي إياه.[710] 3). السكن: لمن المعلوم أن الأسير قد وقع تحييده عن الحروب وأصبح مقيدا بيد أعدائه فهم يتصرفون فى أمره فيجب عليهم إسكانه فى مسكن بحيث يقيه أعين الناس والحر والبرد، والسكنى فى الحالات الاستثنائية يجب أن يغلب عليها السلامة وألا يتعرض للرمي فإنه مأسور غير قادر على النجاة بنفسه من المقنبلة عليه.[711] 4). عدم

---

[706] *القرآن*، سورة الإنسان 76 : 8

[707] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ)، 1384هـ - 1964 م. *الجامع لأحكام القرآن* (تفسير القرطبي) تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة : الثانية، ج. 19 ، ج. 129.

[708] وهبة بن مصطفى الزحيلي، 1418 هـ، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، دمشق: دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، ج.26، ص. 92. و محمد علي السايس، ، 2002، *تفسير آيات الأحكام*، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ج. 1 ص. 691

[709] سيد قطب إبراهيم، *فى ظلال القرآن*، القاهرة: دار الشروق، ج. 3، ص. 1463

[710] علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، 1415 هـ، *لباب التأويل في معاني التنزيل -تفسير الخازن*، تحقيق : تصحيح محمد على شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ج. 2 ، ص. 391.

[711] *المرجع السابق*، ضو مفتاح غمق، *نظرية الحرب فى الإسلام*، ص. 354

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تكليف الأسير بما لا يطيق، ومن الإحسان أن يكلف من الأعمال إلا ما يستطيع، ولا يجبر على عمل لا قدرة عليه، وأن تحترم بنيته الجسدية وآجميته. 5). عدم التشويه البدنى والمثلة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ وَجْهِهِ.[712] وعندما أسر النبي سهيل بن عمرو يوم بدر وكان خطيبا، قال عمر بن الخطاب: دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو ويلدع[713] لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا، قال رسول الله ﷺ: لا أُمَثِّل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا. وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود عن سمرة بن جندب وعمران بن حصين قالا: نهى رسول الله ﷺ عن المثلة. وأخرج ابن أبي شيبة عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال : قال الله : لا تمثلوا بعبادي.[714] وقد اختلف أهل العلم في نسخ حكم النبي ﷺ في العرنيين. فقال بعضهم: ذلك حكم منسوخ، نسخه نهيه عن المثلة بهذه الآية، أعني بقوله:إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا الآية. وقالوا: أنزلت هذه الآية عِتابًا لرسول الله ﷺ فيما فعل بالعُرَنيين. وقال بعضهم: بل فِعْلُ النبيِّ ﷺ بالعرنيين، حكمٌ ثابت في نظرائهم أبدًا، لم ينسخ و لم يبدّل. وقوله:إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية، حكمٌ من الله

---

[712] عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت : 287)، 1400هـ، *السنة*، المحقق : محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ،1 / 228

[713] لايستقيم لسانه عند الكلام.

[714] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت : (911هـ)، 1424هـ \ 2003م ، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، تحقيق : مركز هجر للبحوث مصر دار هجر، ج. 9، ص. 341.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

فيمن حارب وسَعى في الأرض فسادًا بالحِرَابة.[715] قالوا: والعرنيون ارتدُّوا وقتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله، فحكمهم غير حكم المحارب الساعي في الأرض بالفساد من أهل الإسلام أوالذمة. وقال آخرون: لم يسمُل النبي ﷺ أعين العرنيِّين، ولكنه كان أراد أن يسمُل، فأنزل الله جل وعز هذه الآية على نبيه، يعرِّفه الحكم فيهم، ونهاه عن سمل أعينهم. ذكر القائلين ما وصفنا: حدثني علي بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال: ذاكرت اللَّيث بن سعد ما كان من سَمْل رسول الله ﷺ أعيُنهم، وتركه حَسْمهم حتى ماتوا، فقال: سمعت محمد بن عجلان يقول: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ معاتبةً في ذلك، وعلَّمه عقوبة مثلهم: من القطع والقتل والنفي، ولم يسمل بعدَهم غيرَهم. قال: وكان هذا القول ذكر لأبي عمرو، فأنكر أن تكون نزلت معاتبة، وقال: بَلَى، كانت عقوبة أولئك النفر بأعيانهم، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم، فرفع عنهم السمل. عن السدي قال: فبعث رسول الله ﷺ، فأتي بهم= يعني العرنيين= فأراد أن يسمُل أعينهم، فنهاه الله عن ذلك، وأمره أن يقيم فيهم الحدود، كما أنزلها الله عليه.[716] 6). استنطاق الأسير: إن بعض الأسرى يعتبر الحصول عليهم ذا بال إذا كانوا قادة الفرق أوبيدهم مؤنة الجيش أو

---

[715] "الحرابة" (بكسر الحاء) مصدر مثل"العبادة" و"الرعاية" و"التجارة" ، يراد به معنى: "المحاربة لله ورسوله ، والسعي في الأرض فسادًا". وهو مصدر من قولهم: "حربه" أي سلبه وأخذ ماله وتركه بلا شيء. وليس مصدر"حارب" ، فإن مصدر ذلك"محاربة وحرابًا"مثل"قاتل مقاتلة وقتالا". وهذا اللفظ على كثرة دورانه في كتب الأئمة لم يرد له ذكر في كتب اللغة ، كأنهم عدوه مما استعمله الفقهاء ، و لم تأت به رواية اللغة. وهو ، إن شاء الله ، عربي صحيح البناء.

[716] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : 310هـ) 1420 هـ - 2000 م *جامع البيان في تأويل القرآن*، تحقيق : أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ج. 10 ، ص. 252. وانظر كذلك أبي محمد مكى بى أبي طالب القيسي المتوفى 437هـ، 1406هـ-1987م، *الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه*، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، مكة: دار المنارة، الطبعة الأولى، ص. 270-271

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أسلحته أوخرائطه أوخطط الحرب. لذلك كان من مصلحة آسرة أن يستنطقه، ويسأله ليعترف على هدف عدوه بينما تتعارض هذه المصلحة مع مصلحة الأسير الذى لايستطيع أن يدل على عورات قومه، أو يعطى معلومات تكون ضارة بوطنه. وفى غزة بدر تحصل المسلمون على عبدين من قريش فضربوهما، وكان المسلمون يريدون خبر العير وهم يخبرونهم عن خبر النفير فيزيدهم ضربا، فلما أتم الرسول صلاته، قال لهم: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما (؟) صدقا والله إنهما لقريش. ثم أخذ رسول الله ﷺ يسألهما عن العدد ومن جاء من قريش فعرف أن القوم بين التسعمائة والألف من نحرهم البدن، وعرف بعض أسماء الرجال الذين جاءوا للحرب فى تلك الموقعة.[717] 7). شد الوثاق (التقييد): وهو التقييد بالسلاسل والقرين، والربط على السوارى، وذلك لأنه من باب فَشُدُّوا الْوَثَاقَ [718] فقد ربط المسلمون ثمامة بن أثال فى سارية المسجد. وكما جاء فى الحديث: عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ.[719] وذلك لأنهم بأسرهم قد خالطوا المسلمين فعرفوا أخلاقهم وهم فى الأسر فدخلوا الإسلام فكانت سلاسلهم سببا لمعرفتهم الحق والانصياع إليه.[720]

على ضوء ما سبق دراسته يمكن الإشارة إلى أن أخلاق الحرب فى الإسلام وفى جميع

---

[717] *المرجع السابق*، ضوء مفتاح غمق، *نظرية الحرب فى الإسلام*، ص. 357

[718] *القرآن*، سورة محمد 47 : 4

[719] *صحيح البخاري* — حسب ترقيم فتح الباري — ج. 4 ، ص. 73.

[720] *المرجع السابق*، ضو مفتاح غمق، *نظرية الحرب فى الإسلام*، ص. 357

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ميادينها تتسم بكونها ربانية المصدر وهذا يكفل لها السمو والامتياز ويضمن لها العدل والمساواة والرحمة ويسد إنسانية الإنسان ويجنبها الظلم والقصور. ولم يستخدم علماء الشريعة الإسلامية عند بحثهم لأحكام القتال لفظ الحرب، إنما استخدموا لفظا آخر يتفق، والدعوة التى جاء بها الإسلام وهولفظ الجهاد، فهوأوسع دلالة وأدق فى المعنى من لفظ الحرب. رأي الباحث أن نظرية التعددية الدينية لا تحتلج لتحليل تنازع الديانات فى بلاد إندونيسيا ما دام سكانها قائمين بتعاليم الإسلام فى التعايش السلمى بين معتنقى الديانات.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA